

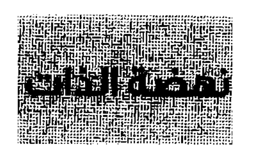
أدبيّات النّهوض

محمّد مهدي الآصفي



نهضة الذات




نهضة الذات

نهضة الذات

محمد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-026-5

[١٤٣٦ هـ. - ٢٠١٥ م.]





دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تريز - سنتر يحفوفي - بلوك C - ط٣
Email: almaaref@shurouk.org - ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ تلفاكس:

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

كلمة المعهد

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]. إنّ عمليّة النهضة تقوم على أساسين اثنين: محاربة العدوّ الخارجيّ والعدوّ الداخليّ، وقد ذكرهما رسول الله (ص) حين بعث سريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحبًا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثمّ قال (ص): أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه[2].

وجهاد النفس لا ينحصر في الإطار الشخصيّ فحسب. إذ إنَّ مقاومة الشهوات ونوازع الملذّات والأخلاق الذميمة، جهاد للنفس، وهو شيء مهمّ، أي إنّ الإنسان يكون في صراع دائم مع ذلك الشيطان الذي يكمن في ذاته، ليتمكّن من لجمه فينتزع منه القدرة على إرغام الشخص على فعل القبائح. كما يكمن فيه أيضًا مصدر الخيرات كلّها ومصدر كلّ جمال وكلّ كمال. إنْ عَزَمَ الإنسان على انتزاع ذاته من براثن النفس الأمّارة بالسوء، واستطاع تحريرها من الشهوات النفسيّة، تنفتح عليه ينابيع الخيرات من كلّ صوب.

إنّ بناء الذات وإصلاحها، مقدّمة وشرط لإصلاح الآخرين وإصلاح العالَم، وإيجاد التغيير واجتياز المسالك الوعرة. كما أنّ الإصلاح الاجتماعيّ لا يتمّ من وجهة النظر الإسلاميّة السليمة، إلّا من خلال الإصلاح الفرديّ، ولن يصلح حال الجماعة إلّا بصلاح الفرد.

وهكذا، فإنّ بناء المجتمع الإسلاميّ عمليّة لا تحدث إلّا من خلال نموّ كمّي وكيفيّ في الأفراد المؤمنين العابدين لله أي في الشخصيّة الإسلاميّة من خلال تكاثرها وحدوث بعض المتغيرات الاجتماعيّة، لتتجسّد بشكل

---

(١) سورة **الرعد**، الآية ١١.

(٢) الشيخ الصدوق، **الأمالي** (قم: مؤسّسة البعثة، الطبعة ١، ١٤١٧هـ)، الصفحة ٥٥٣.

مجتمع إسلاميّ.

وإنّ عملية النهوض تبتني على مجموعة من القيم التي أسّسها الإسلام ودعا إليها. وقد عمدت الحركات الإسلاميّة في الدعوة إلى النهضة على إثارة موضوعات في البناء الروحيّ ويأتي هذا الكتاب ضمن هذا السياق من الموضوعات.

وهو عبارة عن محاضرات ألقاها الشيخ الآصفي (حفظه الله) بمناسبات عدّة، وهي وإن كانت قد نُشرت في السابق بشكلّ متقطّع، إلّا أنّنا جمعناها في كتاب بعنوان واحد **نهضة الذات**.

وفيه مقالات ثلاث. الأولى بعنوان «التقرّب إلى الله» وفيها إشارتان: التقرّب من جهة العبد والتقرّب من جهة الربّ وهو أساس كلّ القيم من عدل وإحسان وغيرهما وتشكّل المعرفة أساس هذا القرب، ومنها تنشأ عناوين أخرى من التقوى والورع والتسليم والرضا والتواضع وغيرها.

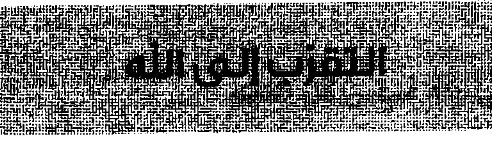
المقالة الثانية بعنوان «الاستعاذة» وتحدّث عنها ضمن ثلاثة محاور: الاستعاذة، المستعاذ منه، والمعاذ. فالاستعاذة لجوء وفرار من منطقة الخطر إلى الأمان من شرور وأخطار خارجة عن النفس الإنسانيّة كالأمراض والأوبئة وغيرها، وأخرى هي أهواء وشياطين النفس. أمّا المستعاذ منه فهي ثلاثة: الفتن، الهوى والشيطان. أمّا المعاذ فهو الكهف الذي يلجأ إليه الإنسان عندما يطارده الشيطان وهو على أنحاء وأقسام أوّلها الله، وثانيها التقوى، ثالثها ورابعها الإيمان والتوكّل على الله، وخامسها الخلوص لله.

ثالث المقالات بعنوان «الاعتكاف» أي الانقطاع إلى الله. وهذه السنّة هي التي تحفظ الشباب من التحلّل الخلقيّ والسقوط والابتذال. ثمّ عرض تاريخ تشريعه وممارسته، فضيلة الاعتكاف وفلسفته. وعرض مراقبات الاعتكاف ومقارناته، وأحكام الاعتكاف والأوقات المستحبّة له.



هذا باختصار ما ورد في الكتاب عسى أن ينفعنا وإيّاكم في الإقبال على الله ويعين السالك على جهاده الأكبر فيسهل عليه الجهاد الأصغر.

سكينة أبو حمدان


التقرب إلى الله

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[1].

للإسلام في حياة الناس طائفة من القيم، مثل: الإيمان، والعدل، والصلاح، والإحسان، والصدق، والتوبة، والتقوى، والعبوديّة، والتوكّل، والقسط والعدل، والثبات والصمود.

وهي خصال يحبّها الله ويحثّ عليها بقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]، ﴿فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4]، ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[5]، ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[6]، ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[7]، ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[8]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[9].

تقرّب العبد إلى الله أساس كلّ القيم

إنّ أساس وأصل القيم الإسلاميّة هو «التقرّب إلى الله» بالقياس إلى مسألة الثواب والجزاء عنده تعالى. فما لم يقصد الإنسان في أيّة قيمة من هذه القيم وجه الله تعالى، ويطلب بها التقرّب إليه تعالى لا يستحقّ بعمله ثوابًا وجزاءً عنده، وكذلك العدل والإحسان. فقيمة العمل عند الله بقدر ما يقصد به العامل وجهه تعالى، وهو مقياس دقيق نقيس به العمل والجزاء والثواب.

---

(١) سورة **الواقعة**، الآيتان ٨٨ و٨٩.
(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٩٥.
(٣) سورة **البقرة**، الآية ٢٢٢.
(٤) سورة **آل عمران**، الآية ٧٦.
(٥) سورة **آل عمران**، الآية ١٤٦.
(٦) سورة **آل عمران**، الآية ١٥٩.
(٧) سورة **المائدة**، الآية ٤٢.
(٨) سورة **التوبة**، الآية ١٠٨.
(٩) سورة **الصفّ**، الآية ٤.

وقد أمر الله تعالى نبيّه (ص) أن يجعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته له سبحانه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[10]. ولئن كانت «الصلاة» و«النسك» من العبادات التي لا تصحّ من دون أن يقصد بها صاحبها التقرّب إلى الله، فإنّ الآية الكريمة توسّع دائرة «التقرّب إلى الله» لتشمل أوسع الدوائر في حياة الإنسان وسلوكه وهي دائرة «المحيا» و«الممات». ولكي تكون حياة الإنسان ومماته كلّها عروجًا إلى الله، لا بدّ أن يجعلها كلّها له سبحانه، ويتقرّب بها كلّها إلى الله تعالى. فما انفصل منها عن هذه النيّة، فلا يرتفع به صاحبه إلى الله، وما اتصل منهما بهذه النيّة ارتفع به إلى الله، وكان فيه عروجه إلى الله.

وهذه «النيّة» عبارة عن قصد الإنسان بعمله وجه الله تعالى والتقرّب به إليه تعالى، والإتيان به ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكلّ ما لم يكن من أعمال الإنسان بهذه النيّة، فلا يستحقّ فيه الثواب والأجر عند الله.

تكامل الإنسان بالقرب إلى الله تعالى

إذا كان القرب إلى الله هو العروج إليه تعالى، فمبدأ هذا العروج هو التحرّر من سلطان «الأنا والهوى». وغاية هذا العروج هو أن يرقى الإنسان إلى حضور الله تعالى، يبصر جلاله وجماله الذي لا نهاية لهما، ببصائر القلوب، كما يبصر بعضنا بعضًا بأبصار العيون عن يقين، وإنّ من بصائر القلوب ما يفوق بصائر العيون. عندئذٍ، يكون الإنسان بحضور الله يبصر جمال الله وجلاله وعظمته وكبرياءه. وهذا ما نقصده من الحضور، وهو درجة عالية ورفيعة من المعرفة واليقين، وثمرته الخشية والحياء من عند الله، وعلى قدر معرفة الإنسان بالله تعالى وجلاله وجماله وعظمته وكبريائه تكون خشيته من الله.

(١٠) سورة **الأنعام**، الآية ١٦٢.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[11]، فمن كانت معرفته عالية ورفيعة بالله تعالى، كانت خشيته من الله عظيمة. ومن كانت معرفته بالله ضحلة وضعيفة، كانت خشيته من الله رقيقة وضعيفة، وتقوى الإنسان على قدر خشيته من الله.

ومن كان أعظم خشية من الله، كان أعظم تقوى لا محالة، وهذه من القضايا التي قياساتها معها.

إذن:

١- على قدر تقرّب العبد إلى الله، يكون حضوره في رحاب جلال الله وجماله وأسمائه الحسنى. وهذه النقلة العظيمة من «الأنا» إلى «الحضور» هي النقلة الكبرى في سلوك الإنسان وحركته.

٢- كما لهذا «الحضور» مشهد في الدنيا ومشهد في الآخرة. أمّا المشهد في الدنيا، فهو معيّة الله تعالى للمؤمنين، وأمّا المشهد في الآخرة، فهو الحضور عند الله ولنلقي نظرة نظرة إلى كلّ من المشهدين.

فمن المعيّة الإلهيّة في الدنيا، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[12]، ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[13]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[14].

وأمّا المشهد في الآخرة، فهو عند الله: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[15]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[16].

---

(١١) سورة **فاطر**، الآية ٢٨.

(١٢) سورة **البقرة**، الآية ١٥٣.

(١٣) سورة **البقرة**، الآية ١٩٤.

(١٤) سورة **العنكبوت**، الآية ٦٩.

(١٥) سورة **آل عمران**، الآية ١٦٩.

(١٦) سورة **القمر**، الآيتان ٥٤ و٥٥.

٣- وعلى قدر معرفته بالله، يكون حضوره عند الله في الآخرة.

٤- وعلى قدر معرفته بالله، تكون خشيته من الله في الدنيا.

٥- وعلى قدر خشيته من الله، تكون تقواه من الله.

والتقوى هو النقلة الكبيرة الثانية في حياة الإنسان من «الهوى» إلى «التقوى». وهاتان نقلتان عظيمتان في حياة الإنسان يحصلان بالتقرّب إلى الله. بينما النقلة الأولى تكون في المعرفة من «الأنا» إلى لقاء الله. الأولى على صعيد المعرفة، والنقلة الثانية على صعيد السلوك. وفي الاثنين، يتكامل الإنسان، وهما يحصلان بالتقرّب إلى الله تعالى.

فبين التقرّب إلى الله والتكامل صلة وعلاقة، ومهما ازداد الإنسان تقرّبًا إلى الله ازداد كمالًا.

كيف يتقرّب العبد إلى الله؟

ما هو معنى التقرّب إلى الله تعالى؟ وبمَ يتقرّب الإنسان إليه عزّ شانه؟

ليس القرب بالتأكيد من مقولة الزمان والمكان، وليست الفاصلة بين الله تعالى وعبده فاصلة من هذا النوع حتّى يُقاس القرب والبعد من الله بهما، فإنّ الله تعالى محيطٌ بهما. والقرب والبعد في الزمنيّات والمكانيّات من المسائل المتكافئة بين الطرفين. فإذا كان الفاصل بين أوّل الشهر ووسطه ١٥ يومًا، كان الفاصل نفسه بين وسطه وأوّله. وإذا كان الفاصل بين (س) و(ص) عشرة أميال مثلًا كان الفاصل بين (ص) و(س) أيضًا عشرة أميال، هذا في القرب الزمانيّ والمكانيّ.

أمّا في القرب المعنويّ، الأمر يختلف؛ فقد يكون الطرف الأوّل قريبًا من الطرف الثاني، بينما يكون الطرف الثاني بعيدًا عن الطرف الأوّل. والأمر كذلك في علاقة الله تعالى بعباده فهو تعالى قريب إلى عباده جميعًا من دون استثناء، بالمعنى العامّ الشامل. يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ ﴾[17]. ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[18].

ولكنّ العبد قد يكون بعيدًا عن الله، محجوبًا عنه تعالى حجابًا كاملًا، تحجبه ذنوبه عن الله. يقول تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[19].

هذا الوقر في آذانهم والعمى في قلوبهم هو الحجاب الذي يحجبهم عن الله، ولذلك ينادون من مكانٍ بعيد لبُعْدهِمْ عن الله، وليس العكس، فإنّ الله قريب منهم، ولا يحجبهم عن الله حجاب؛ ﴿ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[20]. وهذا النسيان أيضًا هو حجاب يحجبهم عن الله، فينساهم الله من رحمته ورعايته عقوبة لهم.

إذًا، ليس هذا القرب والبُعد في مساحة الزمان والمكان ليكون من سنخهما، وإنّما يتمّ البُعد من الله والقرب منه في مساحة الشعور، والوعي، والإدراك، والحبّ، والطاعة، فيكون القرب والبعد من الله قربًا وبُعدًا في الإدراك والشعور والفؤاد. كما أنّ البعد عن الله يتمّ بالغفلة والنسيان والأعراض عن الله، فيتقرّب العبد إلى الله إذا ذكره وأحبّه وأطاعه، ويبتعد إذا نسي الله وعاداه وحاربه وشاقّه وعصاه وغفل وأعرض عنه تعالى. فيتحقّق القرب بالذكر والحبّ والطاعة، ويتحقّق البُعد بالنسيان والغفلة والعصيان والأعراض عن الله. فالقرب والبعد في مساحة النفس والشعور.

ولبيان ما تقدّم، نشير إلى أنّ للقرب والبعد دائرتان. الدائرة الأولى في مساحة النفس والشعور والإدراك والذكر والعقل والقلب والفؤاد، والثانية في مساحة الزمان والمكان. ويتمّ القرب والبعد في الدائرتين وفقًا لمساحة كلٍّ منهما.

---

(١٧) سورة **ق**، الآية ١٦.

(١٨) سورة **الأنفال**، الآية ٢٤.

(١٩) سورة **فصّلت**، الآية ٤٤.

(٢٠) سورة **التوبة**، الآية ٦٧.

وحيث لا معنى للقرب والبعد من الله في الدائرة الثانية، لأنّ الله تعالى محيط بالمكان والزمان، ولا يحتويه الزمان والمكان، ولا يمكن قياس الأشياء عنده تعالى في القرب والبعد بهما، ولا معنى للتقرّب منه تعالى والابتعاد منه في هاتين المساحتين، فلا يبقى معنى للقرب والبعد منه تعالى إلّا في الدائرة الأولى، وهي دائرة النفس والعقل والقلب، فيكون القرب والبعد منه تعالى في مساحة الإدراك والشعور والوعي والمعرفة والحبّ بالضرورة، فيتقرّب الإنسان إلى الله بالذكر، والمعرفة، والحبّ، والشوق، والأنس، والرضا، والتسليم، والطاعة، والدعاء، والمناجاة، والرغبة، والرهبة، والإيمان، والشكر، والإقبال، والإخبات، والفزع، والتقوى، والتوبة، والعودة إلى الله، والاضطرار أو الفقر إليه تعالى.

فإنّ في كلّ ذلك نحوٌ من الارتباط والاتصال بالله تعالى في مساحة النفس وفي مساحة الإدراك والشعور والمعرفة والسلوك. فالذكر قرب إلى الله، والنسيان والغفلة بُعد عنه تعالى. والحبّ يقرّب العبد إلى الله، وخلافه يبعد. والمعرفة تقرّب العبد إلى الله، والجهل يبعد. الحبّ والشوق والأنس يقرّبان العبد إلى الله، وخلافه يبعد. الرضا بأمر الله وابتغاء مرضاته يقرّب العبد إلى الله، والسخط والإسخاط يبعدان. التسليم والطاعة يقرّبان العبد إلى الله، والتمرّد والعصيان يبعدان. الدعاء والمناجاة يقرّبان العبد إلى الله، والاستكبار عن الدعاء يبعد؛ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

الرَغبة والرجاء يقرّب العبد إلى الله، وَانعدام الرغبة إلى ما عند الله، واليأس ممّا عنده تعالى يبعد العبد عن الله، بل يخرجه من دائرة رحمة الله. الإيمان والشكر يقرّبان العبد إلى الله، والكفر يبعد العبد. الإقبال على الله يقرّب العبد إلى الله، والإعراض عن الله يبعده. التضرّع يقرّب إلى الله، وقسوة القلب، وهكذا.

كما أنّ العبادة تتقوّم بنيّة التقرّب إلى الله، وهي ابتغاء مرضاة الله ووجه

الله بامتثال أمره تعالى. وابتغاء وجه الله وطلب مرضاته قضيّة نفسيّة تتمّ في مساحة الإدراك والشعور الإنسانيّ، فيشدّ الإنسان بالله تعالى، ويعمّق ارتباطه به تعالى في هذه المساحة. وعندما يقترن هذا الطلب النفسيّ بجهد وتضحية ومشقّة كالجهاد والحجّ والصوم مثلًا تكسب العبادة صاحبها انشدادًا نفسيًّا أكثر بالله تعالى، ويعمّق ارتباطه به تعالى بشكل أقوى وأبلغ.

الأساس في القرب

والأساس في القرب في كلّ ما ذكرناه وما لم نذكره من خطوط القرب إلى الله تعالى هو المعرفة، فإنّ معرفة صفات الجلال والجمال وأسماء الله الحسنى يمنح الإنسان الذكر، والشكر، والخشية، والتقوى، والإنابة، والتضرّع، والدعاء، والإخبات، والاستكانة، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والخوف، والثقة بالله، والتوكّل عليه تعالى، والطاعة، والانقياد، والتسليم، والرضا، والحبّ، والشوق إلى الله، والأنس بذكر الله، والتبتّل والانقطاع إلى الله، والتوحيد، والإخلاص وغيرها ممّا يُحصى من آفاق القرب إلى الله، وذلك إذا رزق الله تعالى عبده المعرفة والحضور في رحاب الجلال والجمال، وشهود الجلال والجمال الإلهيّ ببصائر القلوب.

ونحن نقصد بالحضور والشهود: المعرفة. فإنّ الحضور في آفاق الجلال والكمال الإلهيّ بالقلوب وبصائر القلوب، وشهود الجلال والجمال الإلهيّ، بقدر ما يتيسّر للإنسان.

وكل عناوين التقرّب إلى الله تعالى التي ذُكرت آنفًا، وغيرها إنّما يحصل للعبد بالمعرفة. وعلى قدر معرفة العبد بالله يتمّ له كلّ هذه العناوين. ولا يتيسّر للعبد، أيًّا كان، الحضور الكامل في آفاق الجلال والجمال ببصائر القلوب، ولا الشهود الكامل لها، وحاشا أن يتمّ للمخلوق المحدود الإحاطة والمعرفة بكلّ آفاق الجلال والجمال، وهما مطلقان، والعبد ووعيه وإدراكه وبصائره محدودة، ولكن بقدر ما يتمّ للعبد من المعرفة والحضور والشهود



يكسب العناوين المتقدّمة للتقرّب إلى الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[21].

ولا شكّ أنّ الخشية من الله من أبرز عناوين القرب إلى الله، كما أنّ الجرأة على الله من أبرز عناوين البُعد منه تعالى وتتحقّق الخشية والخوف من الله بالعلم والمعرفة، كما أنّ الجرأة والاستكبار على الله من نتائج الغفلة والإعراض عنه تعالى. والمقصود بالعلم في الآية هو المعرفة، وأقدار الناس من المعرفة مختلفة وبالتالي تتفاوت خشيتهم منه تعالى أيضًا.

هذه معادلات واضحة القياسات، ولا تحتاج إلى تبيان وتوضيح بعد الذي قدّمناه. وقد ورد في النصوص الإسلاميّة تأكيد لهذا المعنى الذي أسّسه القرآن. فعن رسول الله (ص): من كان بالله أعرف كان من الله أخوف[22].

وعن أمير المؤمنين علي (ع): «عجبت لمن عرف الله كيف لا يشتدّ خوفه»[23]. وعنه (ع): «البكاء من خيفة الله عبادة العارفين»[24]، وعنه (ع) أيضًا: «غاية المعرفة الخشية»[25]. وعنه (ع): «غاية العلم الخوف من الله سبحانه وتعالى»[26].

وعن الإمام الصادق (ع): «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[27]. وعن أمير المؤمنين (ع): «الخوف جلباب العارفين»[28].

---

(٢١) سورة **فاطر**، الآية ٢٨.

(٢٢) العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة ٢ المصحّحة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، الجزء ٦٧، الصفحة ٣٩٤.

(٢٣) محمّد الريشهري، **ميزان الحكمة** (دار الحديث، الطبعة١، ١٤١٦هـ)، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٨.

(٢٤) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٩.

(٢٥) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٨.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٧، الصفحة ٣٥٧.

(٢٨) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٩.

أمّا علاقة الخشية بالمعرفة فواضحة، كما أنَّ علاقة القرب من الله بالخشية واضحة. وذلك أنّ العبد مهما تكن معرفته بالله تعالى وعظمته، وسطوته، وجبروته، وكبريائه، وسخطه، وغضبه الذي لا تقوم له السماوات والأرض أكثر تكون خشيته وخوفه من الله أعظم. وهذه هي المعادلة الأولى المذكورة في سورة **فاطر** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

والمعادلة الثانية: مهما كَانت خشية العَبدَ مَنَ الله تعالى أعظم كان قربه إليه أعظم. وكذلك الذكر من ثمرات المعرفة. ومهما كان العبد أعظم معرفة بالله تعالى كان أكثر ذكرًا له، ومهما كانت معرفة العبد بربّه أقلّ كانت غفلاته وسهوه ونسيانه لله تعالى أكثر. والأمر كذلك في الورع والتقوى، فإنّه مهما تكن معرفة العبد بالله تعالى وجلاله وكبريائه وعظمته وسلطانه وسخطه على الظالمين والطغاة أكثر، كان ورعه وتقواه أعظم لا محالة، كما يكون خوفه وخشيته من الله أعظم.

روي عن رسول الله (ص): «لكلّ شيء معدن (يعني أصل وأساس) ومعدن التقوى قلوب العارفين»[٢٩]. وعن أمير المؤمنين (ع): «من عرف كفّ»[٣٠]. أي من عرف الله تعالى كفّ نفسه عن الهوى. وعنه (ع) أيضًا: «التقوى ثمرة الدين وإمارة اليقين»[٣١].

ولا شكّ أنّ الورع والتقوى من معارج القرب إلى الله، كما أنّ الفجور والفسق من أسباب ابتعاد العبد عن الله. والتسليم بقضاء الله والرضا بقدره يقرّبان العبد إلى الله، وهما من أعظم عناوين التقرّب إليه تعالى. والعكس صحيح، فالاستياء من قضاء الله وقدره والانزعاج منهما يبعدان العبد عن الله.

وهما - أي التسليم والرضا - من بركات المعرفة وثمراتها، فإنّ العبد

---

(٢٩) محمّد الريشهري، **موسوعة العقائد الإسلاميّة** (دار الحديث، الطبعة ١، ١٤٢٥هـ/ ١٣٨٣هـ.ش)، الجزء ٣، الصفحة ٢٩.

(٣٠) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٨.

(٣١) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٣٦٣٦.

إذا كان يعلم أنّ قضاء الله تعالى وقدره فيه ناشئ من رحمته بعباده وحكمته، وأنّه تعالى لا يريد لهم في قضائه وقدره إلّا الصلاح والخير سلّم نفسه لله تعالى ورضي بقضائه وقدره.

وقد روي في هذا المعنى عن الإمام الباقر (ع): «أحقّ خلق الله أن يُسَلِّم لَما قضى الله عزّ وجل من عرف الله»[٣٢]. وعن الصادق (ع): «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ»[٣٣].

والتوحيد أعظم عناوين القرب إلى الله على الإطلاق، ولا إشكال أنّه من ثمرات المعرفة. وكلّما ازدادت معرفة الإنسان بالله تعالى عظم توحيده له تعالى. وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين (ع): «من عرف الله توحّد»[٣٤].

والتواضع لله من عناوين القرب لله، وبخلافه التكبّر والتطاول على الله سبحانه وتعالى يبعدان العبد عن الله. وهو من نتائج المعرفة، بلا إشكال. وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين (ع): «لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم فإنّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له»[٣٥].

والخوف والرجاء من عناوين التقرّب إلى الله، والتجرّأ عليه تعالى واليأس منه عزّ شأنه يبعدان العبد عن الله. والخوف والرجاء من نتائج المعرفة. وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع): «ينبغي لمن عرف الله سبحانه أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه»[٣٦].

وكذلك التوكّل على الله والثقة به يقرّبان العبد إلى الله، والاعتماد على النفس والثقة بالآخرين من دون الله من الشرك الذي يبعد العبد عن

---

(٣٢) الكليني، **الكافي**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٢، ١٣٦٧هـ. ش)، الجزء ٢، الصفحة ٦٢.

(٣٣) **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٦٠.

(٣٤) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٧٧.

(٣٥) خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/١٣٧٠هـ. ش)، الجزء ٢، الصفحة ٣٢.

(٣٦) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٨.

الله. فعن علي أمير المؤمنين (ع): «ينبغي لمن رضي بقضاء الله سبحانه أن يتوكّل عليه»[٣٧]. وعن الصادق(ع): «ثق بالله تكن عارفًا»[٣٨].

والشوق إلى الله من عناوين القرب إليه وهو من ثمرات المعرفة. فعن علي أمير المؤمنين (ع): «الشوق خُلّصان العارفين»[٣٩].

والعزوف عن الدنيا من أبواب القرب إلى الله وبخلافه الإقبال على الدنيا من عوامل البعد عن الله. وهو من ثمرات المعرفة. فعن أمير المؤمنين علي (ع): «كل عارف عائف»[٤٠].

والسؤال والدعاء من الله، تقرّب العبد إليه، ومن أعظم عناوين القرب والتقرّب، وخلافه الإعراض عن الله في السؤال والدعاء يبعدان العبد عن الله ويمقته الله المستكبرين عن الدعاء أشدّ المقت. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤١]. فالاستكبار عن العبادة في هذه الآية الكريمة، بقرينة السياق هو الاستكبار والاستعلاء عن الدعاء. والسؤال عن الله والدعاء ثمرتان للمعرفة. ومن يعرف فضله وكرمه ورحمته التي تفيض على عباده فيضًا، وتصبّ عليهم من غير حساب، وأنّ الله تعالى كريم، يحبّ العطاء، ويدعو عباده إلى أن ينهلوا منه رحمته بالسؤال والدعاء.

أقول: من يعرف ذلك كلّه لا يتوانى عن الدعاء والسؤال إطلاقًا، ولا يكون شيء أحبّ إليه من الدعاء والسؤال من الله. فعن أمير المؤمنين علي (ع): «أعلم الناس بالله أكثرهم له مسألة»[٤٢].

والإخلاص لله من أعظم عناوين التقرّب إليه تعالى بعد التوحيد وهو من ثمرات المعرفة. ومن يعرف الله وكرمه وعطاءه وإحسانه ورحمته لا

(٣٧) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٣٦٥٩.
(٣٨) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٩.
(٣٩) المصدر نفسه.
(٤٠) المصدر نفسه.
(٤١) سورة **غافر**، الآية ٦٠.
(٤٢) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٨٩.

يطلب غير مرضاة الله، ولا يبتغي وجهًا غير وجه الله، ويخلص عمله كلّه لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكلّ ذلك يقرّبه إلى الله، وإذا ابتغى الإنسان بعمله وجوه الناس أبعده ذلك عن الله. ويطول بنا المقام لو أردنا إحصاء عناوين القرب والتقرّب إلى الله، وعلاقتها بالعرفان والمعرفة.

وعلى الإجمال أقول: إنّ المعرفة بالله من أعظم عناوين القرب والتقرّب إلى الله وبخلافه الجهل والإعراض والغفلة والنسيان لله يبعد الإنسان عن الله، وهذا أمر واضح لا أوضح منه، ومن القصائد التي قياساتها معها، كما يقول علماء المنطق، ولا يحتاج إلى توقّف، ولا يتردّد الإنسان في ذلك. فارجع إلى نفسك، تجد نفسك قريبة ممّن تعرفه بالرحمة والكرم والخير والصلاح والتقوى، وبعيدة عمّن تجهله.

وإذا كان الذي يعرفه الإنسان هو الله تعالى بمطلق الجلال، والجمال، والكمال، والكبرياء، والعلوّ، والإحسان، والجود، والرحمة، فلا يفارق الله تعالى قلبه على الإطلاق، كما ينبغي له من المعرفة، ولا يكون قلبه إلّا مع الله ولا يأنس بغير الله، ولا يشتاق إلى غير الله، ولا يسهو عن الله تعالى طرفة عين. فعن الإمام الصادق (ع): «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقًا إليه»[٤٣].

والعرفان والمعرفة في نفس الوقت أساس كلّ عناوين القرب والتقرّب إلى الله تعالى.

الحضور

وهذه المعرفة بصفات الجلال والجمال، وبأسماء الله الحسنى، وبكبريائه، وعظمته، وسلطانه المطلق هي بمعنى الحضور ببصائر القلوب في آفاق الجلال والجمال والكبرياء والعظمة.

---

(٤٣) المصدر نفسه.



وهذا الحضور يستتبع لا محالة: الذكر، والشكر، والطاعة، وحبّ الله، والأنس بذكر الله، والشوق إلى الله، والخوف، والرجاء من الله، والرغبة، والرهبة، والتقوى، والدعاء، وحسن الظنّ، والإنابة، والتضرّع، وابتغاء مرضاة الله.

ولهذا الحضور في آفاق الجلال والجمال مراتب. فمن الناس مَن يذكر الله تعالى حينًا وينصرف عنه حينًا آخرًا، ومن الناس من يذكر الله في كلّ حال، ومن الناس من يذكر الله إذا مسّه ضرّ أو سوء، ومن الناس من يذكر الله كلّ حين، في السرّاء والضرّاء، ومن الناس من ينقطع إلى الله في كلّ شيء، ولا يشغله عن الله شيء.

ومَن يرزَق الحضور في آفاق الجلال والجمال بكلّ قلبه وعقله، لا يشغله عن ذكر الله شاغل من الدنيا، ولا يبقى في قلبه حيّز يشغله شيء عن حبّ الدنيا ولا يشغله حبّ الله، ويمتلأ قلبه حبًّا لله، وشوقًا إليه، وأنسًا وولهًا به، ورغبة، ورهبة، ورجاء، وخوفًا، وخشوعًا، وتعظيمًا، وذكرًا، فيعيش مع الناس في الدنيا، كما يعيش الآخرون من الناس ولكن قلوبهم متعلّقة بالله تعالى، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٤٤].

وليس معنى ذلك أنّهم يقاطعون التجارة والبيع في الأسواق. كلّا، فهم يدخلون الأسواق للتجارة والبيع، كما يدخلها غيرهم، ولكن لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة.

أولئك منقطعون إلى الله. وللانقطاع إلى الله وجهان لا بدّ منهما: القطع من غير الله، والانقطاع إلى الله، وهما وجهان لقضيّة واحدة، فمن لا يقطع قلبه عن غير الله لا ينقطع إلى الله لا محالة.

وقد ورد في المناجاة الشعبانيّة: «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك»، وكمال الانقطاع إلى الله هو أن لا يبقى في قلبه حيّز لغير الله ولا يشغله شاغل من الله.

---

(٤٤) سورة النور، الآية ٣٧.

«وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك».
والنظر إلى الله في هذه الفقرة من المناجاة هو النظر إلى جمال الله وجلاله وأسمائه الحسنى ببصائر القلوب والمعرفة.

ولكي تتمكّن أبصار القلوب من النظر إلى جلال الله وجماله، واستحضار معاني جلاله وجماله تعالى لا بدّ من أن يملأ الله تعالى هذا القلب نورًا، ويفتح أبواب قلبه على آفاق جماله وجلاله حتّى تخترق حجب النور فتصل إلى معدن العظمة.

فإنّ بين قلوبنا ومعدن الجلال والجمال والعظمة حجب من النور لا بدّ من اختراقها، وكما تحجبنا من النظر إلى جلال وجماله تعالى حجب الظلمة، من أهواء النفوس والرين على القلوب، كذلك النور تبهر أبصار القلوب، فتحجبه عن النظر إلى وجهه الكريم.

ولكي تخترق أبصار قلوبنا حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، لا بدّ أن يكسب هذا القلب من الله نورًا يمكنه من اختراق حجب النور لتصل إلى معدن العظمة. وهذه المرحلة من الحضور والمعرفة، هي أرفع مراتب الحضور.

المصدر الأوّل لمعرفة الله تعالى

وإذا كانت معرفة الله هي أساس كلّ عناوين التقرّب إلى الله، فإنّ الله تعالى هو مصدر كلّ معرفة وعرفان، ولا يعرف العبد ربّه سبحانه وتعالى إلّا بالله، والدليل إلى الله على هذا الطريق هو الله.

وقد ورد في دعاء الأسحار للإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع):
«معرفتي يا مولاي دلّتني عليك، وحبّي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك ومن شفيعي إلى شفاعتك»، «بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ولو



لا أنت لم أدرِ ما أنت»[٤٥]. يطلب العبد من ربّه سبحانه وتعالى أن يأخذ بيده إليه تعالى.

وعن الإمام زين العابدين (ع) في المناجاة: «سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحقّ عند من هديته سبيله، إلهي فاسلك بنا سُبُل الوصول إليك، وسيّرنا من أقرب الطرق للوفود عليك»[٤٦].

وعنه (ع) أيضًا في المناجاة: «اللّهم اجعلني من الذين جدّوا في قصدك، فلم ينكلوا، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا، واعتمدوا في الوصول إليك حتّى وصلوا»[٤٧].

فإذا طلب العبد العرفان والمعرفة، لن يجده في موقع أفضل ممّا هو عند الله. فعلى العبد أن يلجأ إلى الله صادقًا ويسأله بجدّ واجتهاد أن يرزقه المعرفة. فإذا عرف الله تعالى في دعائه الصدق في طلب رزقه المعرفة، وإذا رزقه المعرفة رزقه القرب منه تعالى، وإذا وهبه القرب منه، فلن يُحْجَبَ من شيء من مواهب الله تعالى وعطائه في دار المقام عند الله، ويطلب العبد من الله تعالى أن يرزقه الشوق إلى ذكره والأنس بمناجاته، وأن تأخذ لوعة حبّه بمجامع قلبه، ويرزقه أن يرتع في رياض قربه، ويرتوي من حياض حبّه.

فاستمع إلى عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) حين يقول:

إلهي فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبّة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع (مناهل) المصافات يرِدون. قد كُشِفَ الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذُب في

(٤٥) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٨٩٠.

(٤٦) **ميزان الحكمة**، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٢٥٤١.

(٤٧) المصدر نفسه.

معين المعاملة شُرْبهم، وطاب في المجالس الأنس سِرُّهم، وأمن في مواطن الخوف سِربهُم، واطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم وتيقّنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم واستقرّ بإدراك السؤال ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم[٤٨].

والله تعالى جواد كريم، لا ينقص من ملكه مهما بذل من عطائه، وخزائن رحمته لعباده. فلِمَ لا يسأل العبد ربّه أن يرزقه من زلال المعرفة، ووَجْدِ الحبّ، وخلوات الأنس، ولوعة الشوق، ورياض القرب، وحياض الوجد والهيام، ما كان يسأله ويدعو له زين العابدين عليّ بن الحسين (ع) في خلوات مناجاته في آناء الليل.

وهو تعالى يحبّب الإيمان إلى قلوب عباده، ويُكَرِّهُ إليهم الكفر والنفاق، فتقبل قلوبهم على الإيمان والتوجّه والإخلاص، وتعرض قلوبهم عن الكفر والنفاق، ويحبّب إليهم العمل بالصالحات ويُكَرِّهَ إليهم الكفر والذنوب والمعاصي والفسوق. يقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٤٩].

والعكس أيضًا صحيح، فإنّ الله تعالى يكره المنافقين، ويكره أعمالهم، ويكره خروجهم للجهاد فيثبطهم عنه، ويحشرهم مع القاعدين. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[٥٠]. ولهذا وذاك سبب من صدق العبد في نيّته وصلاحه وكذبه ونفاقه وسوء نيّته، فإن عرف الله تعالى فيه صدق النيّة أكرمه وحبّب إليه الإيمان وكَرَّه الكفر والفسوق والعصيان، وإن عرف منه الكذب والنفاق والسوء ثبّطه من العمل الصالح والخروج للجهاد، وكَرِهَ انبعاثه وسلبه لذّة الطاعة، وهذا الجزاء من سنخ العمل والنيّة.

---

(٤٨) الإمام زين العابدين (ع)، **الصحيفة السجّاديّة**، تحقيق السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحي الإصفهاني (قم: مؤسّسة الإمام الهادي (ع)، الطبعة ١، محرّم ١٤١١هـ)، الصفحة ٤١١.

(٤٩) سورة **الحجرات**، الآية ٧.

(٥٠) سورة **التوبة**، الآية ٤٦.

قرب الله من عبده

تعقيبًا على ما سبق من قرب العبد إلى الله، فإنّ لهذه القضيّة الوجه الآخر وهو قرب الله من عبده، فإذا ناجاه يسمعه، وإذا دعاه يستجيب له.

ولا بدّ لهذه القضيّة من توضيح، فأقول: إنّ لله تعالى نحوين من القرب من عباده وخلقه:

١- القرب الشامل العامّ

فالله تعالى بهذا المعنى من القرب، قريب من خلقه وعباده جميعًا، من دون استثناء، الصالح منهم والفاسد، والمؤمن منهم والمنافق، على حدّ سواء. يقول تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٥١]، ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٥٢].

٢- قرب التكريم

وفيه يخصّ الله تعالى عباده الصالحين المقبلين عليه، والتائبين والمنيبين والمتضرّعين إليه. يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٥٣]. فإذا آمنوا واستجابوا لله، كان الله قريبًا منهم بالوجه الأوّل. ففي الآية الكريمة وجهان، كلّ منهما مرتبط بالآخر. وقوام هذه العلاقة في الإيمان بالله والاستجابة لدعوة الله ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي ﴾.

فإذا آمن العبد بالله واستجاب لدعوة الله، فقد حقّق الوجه الأوّل من وجهَي العلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبده. وإذا حظي العبد بذلك القرب من الله تعالى،كان الله تعالى قريبًا منه يستجيب له إذا دعاه، ويسمعه إذا ناجاه وإذا طلبه وجده وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾، وهذا هو الوجه الثاني من الآية.

---

(٥١) سورة ق، الآية ١٦.

(٥٢) سورة **الأنفال**، الآية ٢٤

(٥٣) سورة **البقرة**، الآية ١٨٦.

وبالتأمّل في هذه الآية، يظهر لنا أنّ الآية الكريمة تتضمّن نحوين من الإقبال: إقبال العبد على الله، ويتحقّق ذلك بالإيمان والاستجابة لدعوة الله، وإقبال الله على العبد وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾.

وَلكن يبقى أن نقول إنّ هذه القضيّة إذا انتهت بقرب الله من عبده، فلن تبتدأ بقرب العبد من الله، فإنّ قرب العبد من الله تعالى لا يزيد على أن يكون استجابة من العبد لدعوة الله. ونقطة البداية من عند الله حيث يدعو عباده إلى الاستجابة لدعوته، وإقبال العبد على الله لا يزيد على أن يكون استجابة لدعوة الله.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٥٤]. إنّ البادئ بالدعوة هو الله تعالى وليس للعبد في أفضل الأحوال إلّا أنّه استجاب لدعوة الله فيجزيه الله الحياة الطيّبة بالاستجابة لهذه الدعوة المحيية ﴿إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٥٥].

فهنا دعوتان واستجابة، الدعوة الأولى من الله لعباده ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾، والدعوة الثانية دعاء العبد لله، استجابة لدعوة الله. فالاستجابة من الله لدعاء عبده.

والقضيّة، وإن كانت تبدو للوهلة الأولى أنّ لها وجهين: دعاء العبد لله واستجابة الله لدعاء عبده، إلّا أنّنا نجد ما وراء الوجه الأوّل وجهًا سابقًا عليه، وهو دعوة الله تعالى لعباده برعاية ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾. فدعاء العبد، إذن، يقع بين رحمتين من عند الله: رحمة سابقة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ

(٥٤) سورة **الأنفال**، الآية ٢٥.

(٥٥) سورة **غافر**، الآية ٦٠.



ادْعُونِي﴾، ورحمة لاحقة ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

ويبقى أن نقول بعد ذلك إنّ استجابة العبد لدعوة الله من رزق الله ورحمته وتوفيقه، وأنّى للعبد أن يستجيب لدعوة الله إن لم يوفقه الله تعالى لذلك. وهذا هو قرب التكريم الخاصّ بعباد الله الصالحين.

المعيّة الشاملة ومعيّة التكريم

ويشبه هذا المعنى في تقسيم القرب إلى القرب الشامل العامّ وقرب التكريم تقسيم المعيّة الإلهيّة لعباده إلى: معيّة شاملة وعامّة تشمل كلّ الناس الصالح البارّ والفاسد الفاجر، ومعيّة التكريم الخاصّة بعباد الله الصالحين.

فعن المعيّة الأولى الشاملة، يقول تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥٦]. وهذه المعيّة تشمل عامّة الناس: المؤمنين الصالحين، والمشركين، والمنافقين، والفاسقين، على نحو سواء.

وعن معيّة التكريم الإلهيّة الخاصّة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥٧]، ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٥٩]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦٠]. فالعلاقة متبادلة بين الله تعالى وعباده.

وبالعودة إلى موضوع (قرب الله تعالى من عبده)، نقول: إذا أقبل العبد على الله تعالى، أقبل الله تعالى على عبده، وجازاه الله تعالى بالإقبال

---

(٥٦) سورة **المجادلة**، الآية ٧.

(٥٧) سورة **البقرة**، الآية ١٥٣.

(٥٨) سورة **البقرة**، الآية ١٩٤.

(٥٩) سورة **النحل**، الآية ١٢٨.

(٦٠) سورة **العنكبوت**، الآية ٦٩.

إقبالًا، وبالذكر ذكرًا، وبالحبّ حبًّا، وبالرضى رضى.

فلنبدأ بذكر الله، ولا شكّ أنّ الذكر من أعظم عناوين تقرّب العبد إلى الله، وقد شرحنا ذلك من قبل؛ إنّ الله تعالى يأمرنا بذكره أوّلًا ويعدنا بأن يبادلنا الذكر بالذكر ثانيًا.

أمّا أوّلًا، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٦١]، ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحون﴾[٦٢].

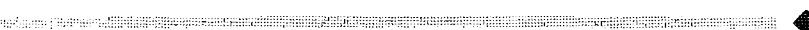
وأمّا ثانيًا، فإنّ الله تعالى يعدنا أن يجزينا بالذكر ذكرًا، فإذا ذكرناه ذكرنا. يقول تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٦٣]، وفي هذه الآية الكريمة ذكر العبد لله، وذكر الله تعالى لعبده، وعلى هذا القياس: مهما أقبل العبد على الله أقبل الله على عبده.

وننتقل إلى عنوان آخر من عناوين القرب، وهو الحبّ، فلا شكّ أنّ حبّ العبد لله يقرّبه إلى الله وخلافه يبعده عن الله، فأقول: إنَّ الله تعالى يأمرنا بحبّه أوّلًا، ويعدنا ثانيًا أن يبادلنا الحبّ بالحبّ، فيقول تعالى عن حبّ العبد لله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾[٦٤].

ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[٦٥]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٦٦].

وعن حبّه لعبادة الصالحين المتطهّرين والتوّابين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ

(٦١) سورة **الأحزاب**، الآية ٤١.
(٦٢) سورة **الأنفال**، الآية ٤٥.
(٦٣) سورة **البقرة**، الآية ١٥٢.
(٦٤) سورة **الإنسان**، الآيتان ٧ و٨.
(٦٥) سورة **البقرة**، الآية ١٧٧.
(٦٦) سورة **البقرة**، الآية ١٦٥.



وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٦٧]، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٦٨].

وعن الحبّ المتبادل بين الله تعالى وعبده يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٦٩]، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[٧٠].

وعن رضا العبد عن الله تعالى، يقول تعالى: ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[٧١]، ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[٧٢].

وعن رضا الله تعالى عن عباده، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٧٣].

وعن الرضا المتبادل بين الله تعالى وعبده يقول تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٧٤]، ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٧٥]. ويقول تعالى أيضًا: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(٦٧) سورة **البقرة**، الآية ٢٢٢.
(٦٨) سورة **التوبة**، الآية ١٠٨.
(٦٩) سورة **آل عمران**، الآية ٣١.
(٧٠) سورة **المائدة**، الآية ٥٤.
(٧١) سورة **طه**، الآية ٨٤.
(٧٢) سورة **التوبة**، الآية ٦٢.
(٧٣) سورة **الفتح**، الآية ١٨.
(٧٤) سورة **المائدة**، الآية ١١٩.
(٧٥) سورة **التوبة**، الآية ١٠٠.

وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٧٦].

وعلى هذا المنهاج، مهما أقبل العبد على الله تعالى في الذكر، والشكر، والحبّ، والطاعة، والإنابة، والتوبة، والإخلاص والتوحيد والدعاء والتضرّع، أقبل الله تعالى عليه أضعاف ذلك.

فعن الإمام الصادق (ع): «من أراد أن يعرف كيف منزلته عند الله فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه»[٧٧].

وقد ورد في النصوص الإسلاميّة تأكيد وتبيين كثير للعلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبده في الذكر والشكر والحبّ والرضى.

ومن ذلك ما روي من الحديث القدسيّ، فيما أوحى الله تعالى إلى داوود:

يا داود أبلغ أهل أرضي إنّي حبيب من أحبّني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، وما أحبّني أحد أعلم ذلك يقينًا منه، إلّا قبلته لنفسي، وأحببته حبًّا لا يتقدّمه أحد من خلقي، من طلبني بالحقّ وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني.

فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من عزورها وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، أؤنسكم وأسارع إلى محبّتكم.

وأوحى الله إلى بعض الصدّيقين: أنّ لي عبادًا من عبيدي: يحبّوني وأحبّهم، ويشتاقون إليّ وأشتاقهم ويذكروني وأذكرهم أوّل ما أعطيهم ثلاث:

الأوّل: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم.

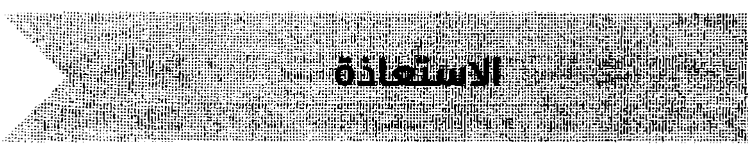
والثالث: أقبل بوجهي عليهم. أفترى من أقبلت عليه بوجهي، يعلم أحد ما أريد

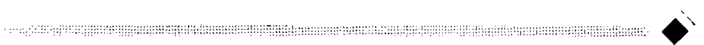
(٧٦) سورة **المجادلة**، الآية ٢٢.

(٧٧) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٨، الصفحة ١٥٧.

أن أعطيه[٧٨].

(٧٨) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٧، الصفحة ٢٦.


الاستعاذة



يقول الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[1].

تعتبر (الاستعاذة) من الشيطان من المفاهيم الأصيلة في الثقافة الإسلاميّة، وفيما يلي نتحدّث إن شاء الله عن هذا الموضوع ضمن ثلاثة محاور:

١- الاستعاذة

٢- المستعاذ منه

٣- المعاذ

١. الاستعاذة

عندما يواجه الإنسان خطرًا لا يقوى على دفعه عن نفسه يلجأ إلى نقطة آمنة قويّة تساعد على حمايته ودفع الضرر عنه ويفرّ من منطقة الخطر التي يتعقّبه فيها العدوّ إلى منطقة آمنة بعيدة عنه.

وهذا اللجوء والفرار من منطقة الخطر إلى منطقة الأمان هي الاستعاذة، وهي طلب اللجوء والحماية والأمن، والاستعاذة مفهوم شائع قديمًا وحديثًا، فقد كان من عادة العرب أن يحموا من يحتمي بهم ويدخل في حمايتهم ويدافعوا عنه واشتهر فيما بينهم المثل العربي الشائع «أحمى من مجير الجراد»[2]، في قصّة معروفة.

وهو، في العصر الراهن، مفهوم شائع في العلاقات الدوليّة في حالات اللجوء السياسيّ والإنسانيّ، وهو مشتقّ من نفس المفهوم والمعنى بتطبيقات معاصرة وحديثة. وكما يلجأ الإنسان من العدوّ الذي يتعقّبه ليفتك به إلى ملجأ آمن يعوذ به ويحميه، كذلك جعل الله تعالى للإنسان ملاذًا يلوذ به

---

(١) سورة **الأعراف**، الآيتان ٢٠٠ و ٢٠١.

(٢) الزبيدي، **تاج العروس** (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، الجزء٤ ، الصفحة ٣٩٠.

وملجأ يحتمي فيه من سائر الشرور والأخطار المحدثة والتي تهدّد حياته وسلامته.

فالأمراض والأوبئة هي من الشرور التي تهدّد حياة الإنسان، وقد جعل الله تعالى في الطبّ والتعليمات الصحّيّة ملجأ يحتمي به الفرد من فتكها.

والشرور والأخطار التي تهدّد أمن الإنسان وسلامته على نحوين:

أ- شرور كونيّة خارج النفس كالأمراض والأوبئة والصواعق والزلازل والفقر والجدب والأزمات الاقتصاديّة والهزائم العسكريّة.

ب- وشرور هي الأهواء والشياطين التي توسوس داخل النفس.

وقد ورد ذكر الاستعاذة في **القرآن الكريم** في آخر سورتين منه، وهما سورة **الفلق** وسورة **الناس** وفيهما يأمرنا الله تعالى بالاستعاذة من هذين النوعين من الشرور، وهما: الشرور الكونيّة خارج دائرة النفس، والشرور التي تعمل داخل النفس، وهي الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس.

وسورة **الفلق** تخصّ الاستعاذة من القسم الأوّل من الشرور: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

وسورة **الناس** تخصّ النوع الثاني من الشرور، وهي الشرور العاملة داخل النفس الشريرة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

وبالشرح الذي قدّمنا لمعنى الاستعاذة واللجوء وطلب الحماية والأمن يتّضح لنا أنّ الاستعاذة من مقولة (الفعل)، وليس من مقولة (القول)، فلا تحقّق الاستعاذة في حياة الإنسان شيئًا إذا اقتصرت على القول، ولم يكن في هذا القول (طلب) أو (فعل).

٢. المستعاذ منه

يعوذ الإنسان بالله في حياته من ثلاثة:

أ- الفتنة

ب- الهوى

ج- الشيطان

وهي كمثلث الابتلاء الذي ذُكر في **القرآن الكريم**:

(الفتن)[٣] هي كلّ المغريات الموجودة في واقع حياة الإنسان (خارج النفس) كـ(المال) و(الواقع) و(الأزواج) و(البنين) و(البنات) و(المراكب).

وقد جمع الله تعالى طائفة من الفتن في سورة **آل عمران**. يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٤]؛ وهذا هو الضلع الأوّل من مثلث الابتلاء.

أمّا الضلع الثاني من هذا المثلث فهي (الأهواء)، وهي مجموعة الغرائز والشهوات والرغبات الكامنة في نفس الإنسان، كالميل نحو الجنس الآخر وحبّ المال، وحبّ الدنيا وحبّ الموقع وحبّ الأزواج والبنين وما أشبه ذلك. يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

وبين الفتنة والهوى تجاذب، فإنّ الفتن تجذب الأهواء، والأهواء تنجذب إلى الفتن. وهذا التجاذب يجعل من تزاوج الفتنة والهوى عاملًا قويًّا وفاعلًا في حياة الإنسان، يدفع الإنسان إلى تجاوز حدود الله تعالى، وارتكاب

---

(٣) تطلق الفتنة في **القرآن** على العوامل المغرية كالمال والجنس الآخر كما تطلق على العوامل الضاغطة كالفقر والظلم. يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة **الأنبياء**، الآية ٣٥).

(٤) سورة **آل عمران**، الآية ١٤.

(٥) سورة **الأعراف**، الآيتان ١٧٥ و١٧٦.

المعاصي، والانحراف عن صراط الله المستقيم، والسقوط في مخالفة الله تعالى. وقد ورد في دعاء الاستعاذة بالله من الأهواء: «اللّهم إنّي أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى، وسوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالمًا، وأن نخذل ملهوفًا، أو نروم ما ليس لنا بحقّ، أو نقول في العلم بغير علم»[٦].

والضلع الثالث من هذا المثلث هو الشيطان الذي يقوم بالدور الأساسيّ وهو الوساطة بين الفتنة والهوى، فيزيّن الفتن للأهواء، ويهيّج (الأهواء) ويثيرها تجاه (الفتن)، وهذه هي مهمّة الشيطان الرئيسيّة في تضليل الإنسان وانحرافه.

يقول تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[٧]، ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٨]، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٩].

إنّ سلطان مثلث الابتلاء رهيب على الإنسان إذا أوقعه في حصاره. لذا، يعلّمنا الله تعالى في كتابه أن نعوذ به تعالى من كلّ واحد من العوامل الثلاثة التي تحدق بحياة الإنسان.

وفيما يلي، نتحدّث عن العامل الثالث في هذا المثلث وهو الشيطان.

عداوة الشيطان للإنسان

يقرّر القرآن أن الشيطان عدو للإنسان ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١٠].

---

(٦) الدعاء الثامن من الصحيفة السجادية.

(٧) سورة **النساء**، الآية ١٢٠.

(٨) سورة **محمّد**، الآية ٢٥.

(٩) سورة **فصّلت**، الآية ٢٥.

(١٠) سورة **يس**، الآية ٦٠.

وهذه حقيقة كبيرة يقرّرها القرآن في علاقة الإنسان بالشيطان فيأمرنا أن نتّخذه عدوًّا، كما يعادينا؛ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[11].

ويتبع الشيطان أساليب ماكرة وخبيثة كثيرة في تضليل الإنسان وإغوائه. ففي الدعاء المعروف الوارد عن أهل البيت (ع) في نهار شهر رمضان إشارة إلى طائفة من أساليب الشيطان ووسائله الماكرة: «وأعذني من الشيطان الرجيم وهمزه، ولمزه، ونفثه، ونفخه، ووساوسه، وكيده، ومكره، وحيله، وحبائله، وأمانيّه، وخدعه، وغروره، وفتنته، ورجَله، وشركه، وأعوانه، وأتباعه، وأخدانه، وأشياعه، وأوليائه، وشركائه، وجميع كيده»[12].

ومعرفة أساليب الشيطان ووسائله في إغواء الناس، وتضليلهم مفيدة جدًّا للإنسان، لأنّ معرفة أساليب العدوّ ووسائله في الفتك والبطش تفيد في إحباط هذه الوسائل وتفنيدها وتعطيلها.

ولذلك، نجد أنّ القرآن يعطي اهتمامًا ملحوظًا لكشف أساليب الشيطان ووسائله في تضليل الناس وإغوائهم.

أساليب الشيطان

أ- من هذه الأساليب أسلوب (الخطوات) التي يتّبعها الشيطان في تضليل الناس، فلا يدعو الشيطان الناس إلى عبادته مرّة واحدة، وإنّما يستدرجهم إلى عبادته وطاعته خطوة، خطوة. فإذا وقعوا في شركه استحوذ عليهم. ويحذّرنا الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[13]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي

(١١) سورة **فاطر**، الآية ٦.

(١٢) الشيخ الكليني، الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣، ١٣٦٧ هـ.ش)، الجزء ٤، الصفحة ٧٥.

(١٣) سورة **النور**، الآية ٢١.

السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[١٤].

بَ- ومن أساليب الشيطان أنّه يحاصر ضحيّته، حتّى يطوّقه، ويسدّ عليه سبيل الفرار، فإذا حاصره ضيّق عليه الحصار بالتدريج، حتّى تكون الضحيّة في يده وتحت أمره بشكل كامل، لا يملك طريقًا للفرار والخروج من الحصار. ويوضح القرآن هذا الأسلوب من أساليب الشيطان: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١٥]. والشيطان يقعد على طريق الإنسان من كلّ جانب، ليسدّ عليه الطريق إلى الله.

روى أحمد في **المسند** عن سبرة ابن أبي الفاكه أنّه سمع رسول الله (ص) يقول: «إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرافه، فقعد له في طريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم، ثمّ قعد له طريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنّما مثل المهاجر كالفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثمّ قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال، فقال أتقاتل فتقتل، فتسلم المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد»[١٦].

ج- ومن أساليب الشيطان (الرصد) أنّه يرصد ضحيته، من حيث يراه الشيطان، ولا يراه الإنسان، ومهمّة الراصد استهداف الضحيّة حينما ينكشف له في مرماه فيرميه، وينكشف الإنسان للشيطان، ويتجرّد من الدفاع والمقاومة في ساعات الغفلة، فيصيبه الشيطان، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١٧].

د- ومن أساليب الشيطان أيضًا الإغراء والتحريك، يقول تعالى:

---

(١٤) سورة **البقرة**، الآية ٢٠٨.

(١٥) سورة **الأعراف**، الآيتان ١٦ و١٧.

(١٦) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل** (بيروت: دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٣، الصفحة ٤٨٣.

(١٧) سورة **الأعراف**، الآية ٢٧.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[18]. والأزّ كما يقول ابن عبّاس: (الإغراء) والأزّ التحريك الشديد والتهيّج الشديد، ولذلك يقال لغليان القدر (الأزيز)، والشيطان يهيّج ضحيّته، ويحرّكه، ويثيره إثارة شديدة، في الغضب والشهوة، حتّى يستحوذ عليه.

هـ- ومن أساليب الشيطان: إنّه يَعد ضحيّته ويمنّيه ويخدعه بالوعود والأمنيات الكاذبة، فيدفعهم إلى السقوط. فإذا أسقط الضحيّة لا يجد من وعود الشيطان وأمانيّه شيئًا، يقول تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[19].

ورد عن الصدوق في المجالس عن الصادق (ع): لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾، (قال إبليس): فمَن لها؟ فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم، فإذا وقعوا في الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها[20].

وعن ابن مسعود: «إنّ للشيطان لمّة وهي الإيعاد بالشرّ، وللملك لمّة وهي الوعد بالخير، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأول فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم[21]. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[22]، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾.

و- ومن أساليب الشيطان الاستفزاز، وهو الاستخفاف، وإذا استخفّ

---

(١٨) سورة مريم، الآية ٨٣.

(١٩) سورة **النساء**، الآية ١٢٠.

(٢٠) العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة٢ المصحّحة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، الجزء ٦٠، الصفحة ١٩٧.

(٢١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٠، الصفحة ١٤٢.

(٢٢) سورة **المائدة**، الآية ١١٩.

الشيطان ضحيّته، هان عليه أن يحرّكه ويوجّهه كيفما يريد، فإنّما يمسك الإنسان عقله ووعيه وضميره وخبرته وحكمته، فإذا جرّده الشيطان منها، واستخفّه سَهُل عليه أمر الإنسان، ومكّنه الإنسان من نفسه، عندئذٍ يثيره ويحرّكه، ويهيّجه كما يجب، ويستحوذ عليه كما يريد. يقول تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[٢٣].

ز- ومن أساليب الشيطان التسويل والإملاء، يقول تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[٢٤]. و(التسويل) التسهيل، و(الإملاء): الإمداد في الآمال والأماني. ومعنى الآية الكريمة: إنّ الشيطان يُسهّل لهم اقتراف الذنوب ومعصية الله عزّ وجلّ، ويُمدّ في آمالهم وأمانيهم، ويطوّل في نفوسهم الآمال، حتّى ينسوا الموت فتستغرقهم عندئذٍ الدنيا، فتصرفهم عن هموم الآخرة وما بعد الموت.

ح- ومن أساليب الشيطان (النزغ). يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، والنزغ الإفساد، ومنه ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، وإذا أفسد الشيطان الإنسان أمكنه ان يستحوذ عليه وتمكّن منه.

ط- ومن أساليب الشيطان التزيين، فيزيّن الفتن للأهواء، كما يهيّج الأهواء تجاه الفتن، والتزيين من وسائل الشيطان الخبيثة والغريبة. فقد يكون الحلال والحرام من سنخ واحد، فيزيّن الشيطان الحرام لضحيّته، دون الحلال. كما يهيّج الشيطانُ أهواء الإنسان وشهواته تجاه الفتن بشكل قويّ ومؤثّر. يقول تعالى عن التزيين: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٢٥]. وعن التزيين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي

---

(٢٣) سورة **الإسراء**، الآية ٦٤.

(٢٤) سورة **محمّد**، الآية ٢٥.

(٢٥) سورة **فصّلت**، الآية ٢٥.



الأَرْض وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٢٦].

وفي مقابل التزيين التحريك والتهييج. والشيطان يزيّن الفتن للأهواء، كما يثير الأهواء ويهيّجها ويحرّكها باتجاه الفتن. وعن هذا التهييج والتحريك والإثارة يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[٢٧]. وقد تحدّثنا سابقًا عن هذه النقطة.

ي- ومن أساليب الشيطان (الوسوسة) و(الخنوس) يقول تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ ﴾. والوسوسة أن ينفذ الشيطان إلى نفس الإنسان من المسالك والدروب الخفيّة بخفاء وتكتمّ لا يثير انتباهه وحذره، ويختفي داخل نفسه، فيستدرجه إلى موقع الشيطان.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٢٨]، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾[٢٩]. وفي وصف الشيطان، يقول تعالى: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾.

فالوسوسة هي النفوذ الهادئ والزاحف للشيطان إلى نفس الإنسان، واختفاء الشيطان في نفس الإنسان، والتأثير الخفيّ للشيطان في النفس. والخنوس هو رجوع الشيطان وفراره إذا انتبه الإنسان إلى موقع الشيطان في نفسه، لئلّا ينبّه الإنسان إلى الخطر ويثير في نفسه الحذر. فالشيطان يدخل في نفس الإنسان بخفاء وتكتمّ لا يثير انتباهه وحذره، فإذا انتبه الإنسان إلى موقع الشيطان في نفسه قفل راجعًا وفرّ، وإذا غفل عاد إلى موقعه الأوّل من النفس، وهذا هو الخنوس.

---

(٢٦) سورة **الحجر**، الآيتان ٣٩ و٤٠.

(٢٧) سورة **مريم**، الآية ٨٣.

(٢٨) سورة ق، الآية ١٦.

(٢٩) سورة **الأعراف**، الآية ٢٠.

وقد روي عن رسول الله (ص): «إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي التقم، فذلك الوسواس الخنّاس»[30].

وعن **تفسير العياشي** بإسناده عن أبّان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد (ع)، قال: «قال رسول الله (ص): ما من مؤمن إلّا ولقلبه في صدره أذنان: أذن ينفث فيها الملك، وأذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وهو قوله سبحانه: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾»[31].

ك- ومن أساليب الشيطان (الهمز) وهو الطعن السريع، الذي يتّسم بخفّة وسرعة، وفي كتاب الله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾.

وللشيطان بالإضافة إلى هذه الأساليب وسائل كثيرة يتوسّل بها لإغواء الناس وتضليلهم، يقوى بهم على ذلك. يقول تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

جند الشيطان

لإبليس جند كثير في كلّ مكان من الجنّ والإنس يقومون بتنفيذ أوامره، والتلبّس على الإنسان، والمكر به، وتضليله وإغوائه. ويصف الله تعالى جند إبليس بأنّهم ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾.

سلطان الشيطان على الإنسان

ورغم هذه الأساليب والوسائل التي تُمكّن الشيطان من إغواء الناس وتضليلهم لم يجعل الله تعالى للشيطان سلطانًا على الإنسان إلّا أن يتّبعه

---

(٣٠) محمّد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن** (قم: مؤسّسة مطبوعاتي إسماعيليان، الطبعة ٢، ١٩٧٣ م)، الجزء ٢٠، الصفحة ٣٩٨.

(٣١) المصدر نفسه.



الإنسان، ويدخل في شركه وحوزة قوّته وسلطانه. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[٣٢].

فليس للشيطان سلطان على الإنسان، وليس له إلّا أن يدعو الإنسان، فإذا استجاب له، فقد استجاب له بكلّ اختياره وإرادته، وأوقع نفسه في شركه باختياره. وليس يقهر الشيطان الإنسان في دعوته إلى الاستجابة.

وهذه حقيقة كبيرة، وذات أهميّة في علاقة الشيطان بالإنسان يقرّرها القرآن. وإنّ الإنسان هو الذي يخرج باختياره وإرادته من حوزة ولاية الله تعالى إلى حوزة ولاية الشيطان، فإذا فعل ذلك دخل في سلطان الشيطان، وجعل على نفسه للشيطان سلطاناً.

وهذه ثلاث قضايا يقرّرها القرآن بوضوح:

١- ليس للشيطان سلطان على الإنسان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾.

٢- والإنسان هو الذي يخرج من حوزة ولاية الله، ويدخل في حوزة ولاية الشيطان: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ﴾[٣٣].

٣- فجعلوا عندئذ للشيطان سلطاناً عليهم. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[٣٤]. ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٣٥]، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[٣٦]، ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن

---

(٣٢) سورة **إبراهيم**، الآية ٢٢.

(٣٣) سورة **الأعراف**، الآية ٣٠.

(٣٤) سورة **النحل**، الآية ١٠٠.

(٣٥) سورة **الحجر**، الآية ٤٢.

(٣٦) سورة **الأنعام**، الآية ١٢١.

﴿تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾[٣٧]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَه﴾[٣٨].

عن الإمام الصادق (ع): «لا يتمكّن الشيطان بالوسوسة من العبد إلّا وقد أعرض عن ذكر الله، واستهان بأمره، وسكن إلى نهيه، ونسي اطّلاعه على سرّه»[٣٩].

٣. المعاذ

وهو الملجأ الأمين الذي يلجأ إليه الإنسان عندما يطارده ويهدّده الشيطان، والمعاذ - في **القرآن** - على أنحاء وأقسام، وإليك بعض هذه الأنحاء.

أ- المعاذ الأوّل في حياة الإنسان هو الله تعالى، يعوذ به الإنسان، ويلوذ به فإنّ الله تعالى سلام يعطي الأمان والسلام لمن يهرب إليه من الشيطان، ولا يستطيع الشيطان أن يمسّ الإنسان بسوء أو شرّ إذا أعاذ الإنسان بالله تعالى.

فهو تعالى السلام المؤمن، الذي يعطي الأمان والسلام لعباده من الشيطان، وهو المهيمن القويّ المقتدر الذي لا يعجزه الشيطان؛ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٠].

وقد أمرَنا الله تعالى أن نعوذ به من الشيطان الرجيم. يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[٤١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس * مَلِكِ النَّاس * إِلَهِ النَّاس * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاس * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاس﴾.

---

(٣٧) سورة **الإسراء**، الآية ٦٣.

(٣٨) سورة **فاطر**، الآية ٦.

(٣٩) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٩، الصفحة ١٢٥.

(٤٠) سورة **الحشر**، الآية ٢٣.

(٤١) سورة **المؤمنون**، الآية ٢٣.



ب- المعاذ الثاني في حياة الإنسان هو التقوى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٤٢].

والتقوى منطقة آمنة في حياة الإنسان، لا يدخلها الشيطان، وهي أن يعيش الإنسان ويتحرّك ويعمل في مساحة الحلال، داخل حدود الله تعالى، لا يتجاوزها، ولا يتعدّاها، وليس بإمكان الشيطان أن يتّبع الإنسان في هذه المساحة، فإذا احتمى الإنسان بالتقوى حمته التقوى من الشيطان. يقول أمير المؤمنين (ع): «واعلموا عباد الله أنّ التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يُحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حُمة الخطايا»[٤٣].

فالتقوى، إذن، حرم آمن لله تعالى في حياة عباده لا يدخله الشيطان، ودار حصن عزيز. لا ينفذ إليه الشيطان، والعزيز هو ما لا يمكن النفوذ إليه. بينما الذنب والمعصية دار حصن ذليل. والذليل ما يسهل النفوذ إليه، فإذا أطاع الإنسان الله تعالى حمته التقوى من نفوذ الشيطان، وإذا عصى الإنسان الله أذلّ نفسه بالمعصية، فنفذ إلى صدره وقلبه الشيطان.

والتقوى (لباس) للإنسان، وكما يحفظ اللباس الجسم من البرد والحرّ والأذى وعيون الناس، كذلك تحفظ التقوى الروح من الهوى والشيطان. يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٤٤]، تحفظ التقوى روح الإنسان، وتستر أهواءه وتلطّفها وتهذّبها وتعدّلها، وكما يحفظ اللباس الإنسان يجب على الإنسان أن يحفظ اللباس بالمقابل، كذلك التقوى تحفظه ويحفظها.

---

(٤٢) سورة **الأعراف**، الآية ١٩٩.

(٤٣) خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠هـ.ش)، الجزء ٢، الصفحة ٥٢.

(٤٤) سورة **الأعراف**، الآية ٢٦.

يقول أمير المؤمنين (ع): «أيقظوا بها [التقوى] نومكم، واقطعوا بها يومكم، واشعروا قلوبكم، ألا فصونوها وتصوّنوا بها»[٤٥].

ج- ود- المعاذ الثالث والرابع هو الإيمان والتوكّل على الله، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٤٦].

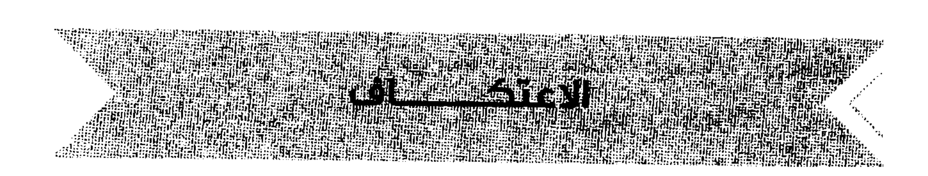
هـ- المعاذ الخامس في حياة الإنسان هو الخلوص لله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤٧].

---

(٤٥) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١٣٥.

(٤٦) سورة **النحل**، الآيات ٩٨ – ١٠٠.

(٤٧) سورة **الحجر**، الآيتان ٣٩ و٤٠.


الاعتكـــاف



﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]

أصبحت اليوم مواجهة الغزو الثقافيّ القادم إلينا من الغرب من أكبر همومنا واهتماماتنا الثقافيّة. فقد اخترقت الحضارة المادّيّة العديد من الحواجز الثقافيّة واقتحمت بيوتنا ومؤسّساتنا الثقافيّة والإعلاميّة بآليّات متطوّرة وقويّة.

ولمواجهة هذه الموجة القادمة إلينا من الغرب، لا بدّ من جهد جمعيّ واسع يعتمد تخطيطًا علميًّا مدروسًا وإعدادًا وإدارة جيّدة، كما لو كنّا قد دخلنا معركة ميدانيّة في ساحة من ساحات القتال والمواجهة. فلا تقلّ المواجهة الثقافيّة عن المواجهة العسكريّة ضراوة وقساوة.

وللتخلّص من نفوذ الثقافة المادّيّة الغربيّة لا يكفي - بالتأكيد - فرض رقابة مشدّدة وسيطرة على الآليّات الحديثة المتطوّرة التي تنقل إلينا هذه الثقافة المادّيّة، وإن كان لا بدّ منها في الحدود الممكنة. وذلك لأنّ هذه الآليّات أصبحت جزءًا من حياتنا ولا يمكن الاستغناء عنها، بل لا يمكن السيطرة عليها وفرض رقابة كاملة كالفضائيّات وشبكة الأنترنت العالميّة. ولإيماننا بضرورة فرض الحدّ الممكن من الرقابة الثقافيّة والسياسيّة والإعلاميّة على الثقافة القادمة إلينا من الغرب عبر هذه الشبكات التي تخترق كلّ الحواجز والحدود السياسيّة والإعلاميّة والجغرافيّة.

ويكمن المنهج المقاوم والمكافئ لهذا التحدّي الثقافيّ في تحصين الشباب من الجنسين تجاه الثقافة المادّيّة القائمة على أساس التحلّل والإثارات الجنسيّة الحادّة وإسقاط القيم.

ومن أهمّ عوامل التحصين: (التقوى) و(الذكر). فإنّ في التقوى وقاية كاملة للإنسان من عدوى الثقافات المادّيّة القائمة على التحلّل الخلقيّ

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٢٥.

والإباحيّة والتحرّر من الالتزامات الأخلاقيّة والقيم الروحيّة والخلقيّة.
ويُعبّر **القرآن الكريم** عن هذه الخصلة في التقوى بـ(اللباس) لأنّ اللباس يقي الإنسان ويحفظه من البرد والحرّ، ومن أنظار الناس ويستر عوراته الجسديّة، كذلك التقوى تؤدّي دور اللباس مع لحاظ أنّه لباس النفس والروح والعقل والضمير والعاطفة، أي الشطر السامي من كينونة الإنسان. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[٢].

ولـ(الذكر) دور مشابه في تحصين الإنسان فالصلاة من الذكر بلا ريب. يقول تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[٣]؛ وهي تمنح الإنسان المناعة من الفحشاء والمنكرات. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[٤].

ومَن أبواب الذكر والعبادة التي تحفظ الشباب من التحلّل الخلقيّ والسقوط والابتذال الاعتكاف، وهي حالة من التفرّغ للعبادة، والتأمّل، والذكر، والصلاة، والصيام، والالتزام بمحرّمات الاعتكاف، التي تروّض الإنسان وتمنحه القدرة على ضبط النفس. وهو سُنّة عريقة أكّد عليها الأنبياء (ع): ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود﴾[٥]. والآية الكريمة واضحة بأنّ الاعتكاف كان سنّة معروفة منذ عصر إبراهيم (ع).

وقد كان رسول (ص) يحرص عليه، فإذا فاته في عام قضاه في العام المقبل. وكان العلماء والصالحون يحرصون على إحياء هذه السُنّة، وقد اختفت مدّة طويلة، ثمّ عادت في العراق وإيران والحرم الشريف المكّيّ.

ففي الحرم المكّيّ الشريف، يعتكف المسلمون في شهر رمضان المبارك، وبشكل خاصّ في العشر الأخيرة من شهر رمضان وفي العراق وإيران

---

(٢) سورة **الأعراف**، الآية ٢٦.
(٣) سورة **طه**، الآية ١٤.
(٤) سورة **العنكبوت**، الآية ٤٥.
(٥) سورة **البقرة**، الآية ١٢٥.



في النصف الأوّل من شهر رجب (في ليالي التشريق)، وقد ازداد إقبال الشباب من الجنسين في السنين الأخيرة على الاعتكاف في المساجد الجامعة في المدن الإيرانيّة في منتصف شهر رجب بحيث تضيق بهم الجوامع على سعتها وكثرتها، وبلغ عدد المعتكفين في إيران ثلاثة ملايين من الرجال والنساء وأغلبهم من الشباب من الجنسين، يتفرّغون في هذه الأيّام والليالي الثلاث للصلاة والصيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتأمّل والاستغفار.

١. تشريع الاعتكاف

يقول تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

الاعتكاف سُنة إسلاميّة عباديّة معروفة والآية الكريمة تشير إلى ذلك، وقد صرّح بذلك البيضاوي في **تفسيره**[٦]، والآلوسي في **روح المعاني**[٧] وغيرهما من المفسّرين. واعتبر صاحبا **الحدائق** و**الجواهر** الآية المباركة ١٢٥ من سورة **البقرة** من الأدلّة على مشروعيّة الاعتكاف[٨]. كما ورد ذكر الاعتكاف أيضًا في الآية ١٨٧ من سورة **البقرة**: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

وبخصوص هذه السُنة أحاديث معتبرة منها:

ما رواه الكليني عن الإمام الصادق(ع) بسند معتبر قال: «كان رسول الله (ص) إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد، وضربت له قبّة

(٦) للمزيد انظر: البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، الجزء ١، الصفحة ٨٦.

(٧) للمزيد انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، الجزء ٢، الصفحة ٦٨.

(٨) الشيخ الجواهري، **جواهر الكلام** (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٦هـ. ش)، الجزء ١٨، الصفحة ١٥٠. وأيضًا: المحقّق البحراني، **الحدائق الناضرة** (قم: مؤسّسة النشر الإسلاميّ، لا تاريخ)، الجزء ١٩، الصفحة ٤٦٦.

مشعر، وشمّر المئزر وطوى فراشه»[٩].

وفي **كنز العمّال** عن أنس: «كان [النبيّ (ص)] إذا كان مقيمًا اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين»[١٠].

٢. تاريخ الاعتكاف

يؤكّد القرآن على أنّ الاعتكاف تشريع قديم، ففي الآية ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود ﴾ دلالة على أنّ الاعتكاف سُنّة إبراهيميّة عريقة.

وفي سورة **مَريم** ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[١١].

يقول السيّد الطباطبائي في **الميزان**: «إنّ من المحتمل أن يكون مريم في انقطاعها عن الناس كانت مقبلة على العبادة والاعتكاف ومنقطعة لذلك عن الناس»[١٢].

ويروي العلّامة المجلسي في **البحار** إنّ سليمان (ع) كان يعتكف في البيت المقدس سنة أو سنين وشهرًا وشهرين وكان يأتون له بالماء والطعام[١٣].

وكان رسول (ص) يعتكف ويضرب له خيمة من شعر كما ذكرنا، وكان إذا فاته الاعتكاف سنة قضاها في العام القابل.

وعن الإمام الصادق(ع): «كانت بدر في شهر رمضان فلم يعتكف رسول الله (ص) فلمّا أن كان مَن قابل اعتكف عشرين عشرًا لعامّه وعشرًا قضاءً

---

(٩) الكليني، **الكافي**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٣، ١٣٦٧هـ. ش)، الجزء ٤، الصفحة ١٧٥.

(١٠) المتّقي الهندي، **كنز العمّال** (لبنان- بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م)، الجزء ٧، الصفحة ٨٧.

(١١) سورة **مريم**، الآيتان ١٦ و١٧.

(١٢) للمزيد انظر: محمّد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن** (قم: مؤسّسة مطبوعاتي إسماعيليان، الطبعة ٢، ١٩٧٣ م)، الجزء ١٤، الصفحتان ٣٤ و٣٥.

(١٣) للمزيد انظر: العلّامة المجلسيّ، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة٢ المصحّحة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، الجزء ١٤، الصفحة ١٤١.



لما فاته»[١٤].

ومن أسطوانات المسجد النبويّ أسطوانة السرير كان يوضع عندها سرير رسول الله (ص) عند الاعتكاف، وقيل إنّ سريره كان يوضع عند أسطوانة التوبة.

وهذه السُنّة كانت قائمة في العصور المختلفة، وقد حرص العلماء على إحيائها والحثّ على الالتزام بها، وسعى لإحيائها في العراق في مسجد الكوفة المقدّس الأردبيلي والميرزا حسين الخليلي وغيرهم من العلماء الذين كانوا يعتكفون في مسجد الكوفة.

وفي إيران، كان الشيخ لطف الله الميسي العاملي يحيي هذه السُنّة في عصر الصفويّة وله في ذلك رسالة تحت عنوان **رسالة ماء الحياة أو الرسالة الاعتكافيّة** لتشجيع الناس على إحياء هذه السُنّة الإسلاميّة، وكذلك الشيخ البهائي كان يحرص على أداء هذه السُنَّة العباديّة.

وفي عصرنا الحالي، في العشر الأواخر من شهر رمضان، نجد المسجد الحرام والمسجد النبويّ عامرين بعشرات الآلاف من المعتكفين ولا سيّما من الشباب، وفي العراق وإيران تعمر المساجد في الأيّام البيض من شهر رجب (١٣، ١٤، ١٥) بجماهير المعتكفين.

٣. عموميّة تشريع الاعتكاف

لا يخصّ تشريع الاعتكاف الرجال، وإنّما يعمّ الرجال والنساء، وقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق (ع) في أحكام الاعتكاف: «واعتكاف المرأة مثل ذلك»[١٥]. وشأن الاعتكاف في ذلك شأن سائر العبادات ولا تخصّ جنسًا دون آخر.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

(١٤) **الكافي**، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٧٦.

(١٥) الحرّ العاملي، **وسائل الشيعة** (لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي، لا تاريخ)، الجزء ٧، الصفحة ٤٠٩.

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١٦].

وتشمل عبادة الاعتكاف الصبيان كذلك، بناءً على الرأي المعروف عند فقهاء الإماميّة بصحّة عبادة الصبيان، وبناءً على ذلك ينبغي تخصيص مساجد لاعتكاف النساء وإشراك الصبيان من الجنسين في هذه السُنّة الإسلاميّة، فإنّها فرصة جيّدة لتربية الأولاد والبنات ووضعهم في أجواء عباديّة وروحيّة.

والعلاج الناجع للحملة الثقافيّة المادّيّة الواسعة التي تستهدف أبناءنا وبناتنا من ناحية الغرب هو أن نحصّن معاشر الشباب بأجواء روحيّة عباديّة مثل صلوات الجماعة والجمعة والحجّ والعمرة وزيارة مراقد أهل البيت (ع)، على النهج المعروف عند شيعة أهل البيت (ع) وكذلك مجالس الدعاء ومجالس عزاء الحسين (ع)، ومن ذلك الاعتكاف، فإنّ لمثل هذه التجمّعات العباديّة الموجهّة تأثير كبير في تحصين الشباب وتوجيههم إلى الله، وانشدادهم بالله وانفتاحهم على الله، وتقويم سلوكهم. ولذلك ورد التأكيد في حضور الجماعات. وقد أوجب الله على الناس حضور الجمعات والحجّ والعمرة في حشود المؤمنين. وإنّ الإنسان ليلمس في مثل هذه الاجتماعات الموجّهة المعدّة للصلاة والذكر والعبادة، في نفسه الإقبال على الله والانفتاح ورقة القلب والتفاعل مع الذكر ما لا يجده في غيره.

٤. فضيلة الاعتكاف

وردت في النصوص الإسلاميّة أحاديث كثيرة في فضيلة الاعتكاف، وقد ذكرنا كيف كان يحرص رسول الله (ص) على الاعتكاف كلّ سنة، وإذا

---

(١٦) سورة **الأحزاب**، الآية ٣٥.



فاته سنة قضاه في العام القابل.

وكانت زوجات رسول الله (ص) أمهات المؤمنين يشتركن في الاعتكاف مع رسول الله (ص) كما كان الناس يشتركون في الاعتكاف[17].

وروي عن رسول الله (ص): «اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجتين وعمرتين»[18].

وعن رسول الله (ص): «من اعتكف إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه»[19].

وفي رسالة للإمام علي (ع) إلى محمّد بن أبي بكر يذكر الإمام له اهتمام رسول الله (ص) بالاعتكاف وقضاؤه له بعد عام بدر، وأنّه لم يترك الاعتكاف بعد ذلك، وأنّ رسول الله (ص) اعتكف وكان ينزل عليه ماء المطر بحيث كان يتبيّن أثر الماء والطين على موضع سجود رسول الله (ص).

٥. فلسفة الاعتكاف

التحرّك في الأسواق وساحات العمل جزء لا يتجزّأ من الإسلام، ولا يأذن الإسلام للمسلمين بالتحلّل من مسؤوليّات الحياة الاجتماعيّة والحياة العائليّة، وبالتواكل والقعود عن الحركة في السوق وابتغاء الرزق من موارده التي أحلّها الله تعالى وسخّرها لعباده. بل إنّ التصدّي للمسؤوليّات الاجتماعيّة والحضور في ساحة المجتمع أمر يريده الله تعالى لعباده على الوجه الصحيح المشروع.

ولكنّ هذه الحركة - سواءً كانت في الأسواق أو في سائر الساحات الاجتماعيّة - تستهلك لا محالة شطرًا كبيرًا من طاقات الإنسان وتطلّعاته واهتماماته الروحيّة، ويكون له دور عكسيّ في علاقة الإنسان بالله. وقليلٌ

(١٧) **صحيح مسلم**، الجزء ٨، الصفحة ٦٠.

(١٨) الشيخ الصدّوق، **من لا يحضره الفقيه** (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة، الطبعة٢، ١٤٠٤هـ) الجزء ٢٢، الصفحة ١٨٨.

(١٩) **كنز العمّال**، مصدر سابق، الجزء ٨، الصفحة ٥٣١.

أولئك الذين يعيشون في الدنيا، دون أن تستغرقهم أو تملك على الأقلّ شطرًا من اهتماماتهم وطاقاتهم الروحيّة وعلاقتهم بالله تعالى، وهاتان حقيقتان لا بدّ من قبولهما، وهما: ضرورة الدخول في الدنيا أوّلًا، والتأثير السلبيّ لهذا الدخول في علاقة الإنسان بالله ثانيًا.

وفي المنهج التربويّ للإسلام، نجد اهتمامًا كبيرًا بهذه المسألة فلا ينهى الإسلام عن الدخول في الدنيا من المداخل التي أحلّها الله لعباده ولكن ينهى عن التعلّق بها، وهو أمر يختلف عن التعلّق بالدنيا، والإسلام يأمر بالأوّل وينهى عن الثاني.

وإلى جانب ذلك، نعلم أنّ ضريبة الدخول في الدنيا هو هذا الاستهلاك الواسع لطاقات الإنسان الروحيّة وعلاقته بالله تعالى شاء أم أبى.

ولتلافي هذه التبعة الثقيلة التي تتركها الدنيا في نفس الإنسان وحياته، وضع الإسلام منهجًا تربويًّا متكاملًا يحفظ الناس من تبعات الدخول في الدنيا، من دون أن ينهاهم عن الدخول فيها.

والصلاة شطر واسع من هذا المنهج، فإنّ الصلاة تنتزع الإنسان من الدنيا انتزاعًا قويًّا وترفعه، لفترة محدودة عن اهتماماته ومشاغله الدنيويّة، وتعيد إليه حالة التعادل بين الروح والجسم، وتحرّره ولو لفترة محدودة عن النزوع إلى الدنيا والاستهلاك فيها. هذا إذا كان الإنسان يُقبل على صلاته، وأمّا إذا كان يعاني من حالة الشرود النفسيّ في الصلاة، فإنّ تأثير الصلاة يقلّ في روحه وعلاقته بالله، بقدر شروده عن صلاته.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الصلاة جزء أساسيّ من المنهج التربويّ الإسلاميّ للتخلّص من تبعات الدخول في حياة الدنيا. وقد وزّع الإسلام الصلوات على خمسة مواقيت من الليل والنهار لتتكرّر على الإنسان حالات الانقطاع عن الدنيا في خمسة مواعيد في كلّ يوم وليلة.

وقد ورد في السنن أنّ رسول الله (ص) إذا دخل وقت الصلاة انعزل تمامًا عن أصحابه وزوجاته فكأنّهم لا يعرفونه، وكأنّه لا يعرفهم.



ومن مارس الاعتكاف يعرف جيّدًا أنّ الحالة الروحيّة التي يدخل بها الإنسان المسجد للاعتكاف تختلف بصورة واضحة وملموسة عن الحالة التي يخرج بها المعتكف من المسجد بعد ثلاثة أيّام أو أكثر. فهو حينما يدخل المسجد، يشعر بحالة الثقل والترهّل النفسيّ الذي يلازمه في السوق والبيت والشارع. وعندما يخرج من المسجد بعد ثلاثة أيّام أو أكثر تفرّغ فيها للصيام والصلاة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتأمّل يشعر بخفّة الروح بصورة واضحة وملموسة، وهو ما يتلمّسه كلّ الذين مارسوا الاعتكاف بشكل واضح.

فإنّ التفرّغ للعبادة صيامًا وصلاة وذكرًا ودعاءً وتلاوة لثلاثة أيّام أو أكثر يعزل الإنسان بعازل نفسيّ مؤقّت عن الحياة الدنيا. وهذا الاعتزال المحدود يحرّر الإنسان من أواصر الحياة الدنيا، ويعيد العافية والنشاط إلى روحه بدرجة عالية، ويخفّف عنه كثيرًا من القيود التي تثقله وتمنعه عن الارتقاء إلى حالة التعلّق بالله والعروج إلى الله تعالى. وتعبير القرآن التحرّر من القيود الدنيويّة التي تثقل الإنسان وتمنعه عن العروج والصعود إلى الله بشكل دقيق. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٢٠].

إنّ الرضا بالحياة الدنيا والتعلّق بها يثقل الإنسان ويشدّه إلى الأرض، ويعيقه من العروج إلى الله. والدخول في الحياة الدنيا يستتبع كثيرًا حالة الركون إلى الحياة الدنيا والتعلّق بها. وقليلٌ أولئك الذين يدخلون الدنيا دون أن يتعلّقوا بها، وينشدّوا إليها. ومع ذلك، فقد أمر الإسلام بالدخول في الدنيا من مسالك الحلال، ومن دون إسراف، لأنّ الدخول فيها يثقل الإنسان ويعيقه عن الحركة والعروج إلى الله ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

ولكي يتحرّر الإنسان من هذا التثاقل المقيت الذي يلحقه في الدنيا، لا

---

(٢٠) سورة **التوبة**، الآية ٣٨.

بدّ له من هذه الفترات التي ينقطع فيها عن الدنيا في بيوت الله، إلى الله، ويعيد إلى روحه نشاطها وعافيتها وقدرتها على الصعود والعروج إلى الله.

ومن ناحية أخرى، يتحصّن الإنسان في فترات الانقطاع عن ضواغط الهوى والفتن ووساوس الشيطان، ويكتسب مناعة عالية تصحبه بعد أن يخرج من المسجد ويدخل السوق والشارع، وإذا أحسن الإنسان التعامل مع هذه المناعة التي اكتسبها في أجواء المساجد أيّام الاعتكاف، فإنّها سوف تبقى له وتحفظه باستمرار.

ومن هنا، فإنّ للاعتكاف دورًا قويًّا ومؤثّرًا في تحصين الشباب من عوامل الفتنة والإثارة التي يواجهونها في حياتهم.

وبقدر ما يتحرّر الإنسان من ذاته، ويتخلّص من الاهتمام بها والانصراف إليها يتمكّن من معرفة الله، وصفاته، وأسمائه الحسنى، والنظر إلى وجهه الكريم، وهذا وذاك متوازنان متعادلان.

ولذلك، قلنا إنّ الاعتكاف في المساجد لفترة مؤقّتة يتفرّغ فيها الإنسان للعبادة في بيوت الله بصحبة الصالحين، بين حين وآخر يعيد التعادل والتوازن إلى شخصيّة الإنسان، ويفتح قلبه وعقله على الله.

وقد كان الأنبياء (ع) يمارسون سنّة الاعتكاف، وكان رسول الله (ص) يحرص على الاعتكاف كما قلنا سابقًا. والقرآن يشير إلى خلوة رسول الله موسى (ع) لمناجاة الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٢١].

وهذا الحرص والتأكيد في رسالاتِ اللَهِ على الخلوة لأمرين خطيرين وهما: أنّ الحياة الاجتماعيّة والاستغراق فيها تعزل الإنسان عن الله تعالى، أوّلًا، وتعزله عن نفسه ثانيًا.

وهذا وذاك داءان ومرضان من أمراض النفس الإنسانيّة، وهما انفصاله عن الله تعالى، وانفصاله عن نفسه وبينهما علاقة وشيجة

---

(٢١) سورة **طه**، الآيتان ٨٣ و٨٤.

ونسبة. يقول تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢٢]. فالنسيان الأوّل هو الانقطاع عن الله تعالى، والنسيان الثاني هو الانقطاع عن النفس. والأوّل يستدعي الثاني.

إنّ الاستغراق في الهوى والشهوات ولذّات الدنيا يُنسي الإنسان نفسه وروحه، والقيم التي أودعها الله تعالى في نفسه، ولذلك ورد التأكيد في النصوص الإسلاميّة بالاقتصاد في النوم، والأكل، وشهوة الجنس وسائر حاجات الجسم في الحلال، فإنّ الهوى إذا طغى في حياة الإنسان يستهلكه، ويغطّي هذا الجانب السامي من شخصيّته، ويصبح محورًا لاهتماماته وسعيه وجهده.

وخلواتٌ مثل خلوة الاعتكاف تعيد الإنسان إلى الله ثمّ إلى نفسه. ولذلك فمن المفيد أن يكثر الإنسان من هذه الخلوات ويستفيد منها حتّى لا تستهلكه الحياة الاجتماعيّة.

وفي نفس الوقت، فإنّ أمثال هذه الفرص ينبغي أن لا تعزل الإنسان عن الحياة الاجتماعيّة، وينبغي أن تتحرّك هذه العلاقات الثلاث في حياة الإنسان بصورة متناسبة: العلاقة بالله تعالى، والعلاقة بالمجتمع، والعلاقة بالنفس. ويتمّ تعديل الأنا بصورة كاملة في التربية الإسلاميّة ضمن تحديد وتنظيم هذه العلاقات.

وقد أولى الإسلام هذه الدوائر الثلاث من العلاقات في حياة الإنسان اهتمامًا كبيرًا، فإذا تمكّن الإنسان أن ينظّم علاقاته مع الله ومع الآخرين ومع نفسه بالطريقة التي يشرحها ويوضحها الإسلام، يسلم من كلّ الأعراض التي تصيب الإنسان من ناحية (الأنا) و(الدنيا).

---

(٢٢) سورة **الحشر**، الآية ١٩.

٦. مراقبات الاعتكاف ومقارناته

ينبغي للمعتكف أن يراقب نفسه أيّام الاعتكاف مراقبة دقيقة حتّى ينال أفضل ما يمكن أن يناله الإنسان من ثمرات الاعتكاف، فإنّ اللبث والصوم وحدهما لا يكفيان في تحقيق غايات الاعتكاف، ولا بدّ أن يضمّ إليهما المعتكف طائفة من المراقبات والمقارنات المسنونة والواجبة المسنونة.

ومن هذه المراقبات:

أ. إخلاص العمل لله والابتعاد عن الرياء والتظاهر

عن رسول الله (ص): من اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد ممّا بين الخافقين[٢٣].

وروى أبو داوود في **السنن** عن عائشة أنّه (ص) أراد مرّة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، قالت: فأمر ببنائه فضرب، فلما رأيت ذلك أمرت ببنائي فضرب، وقالت: وأمر غيري من أزواج النبيّ ببنائهنّ فضرب، فلمّا صلّى الفجر نظر إلى الأبنية فقال: ما هذه؟ البر تردن؟ قالت: فأمر ببنائه فقوض وأمر أزواجه بأبنيتهن فقوضن، ثمّ أخّر الاعتكاف إلى العشر الأوّل يعني من شوّال[٢٤]. ويبدو أنّ الذي آذى رسول الله (ص) حالات الظهور والبروز في الخيام والقبب المضروبة.

ب. الانقطاع عن الدنيا في فترة الاعتكاف

في فترة الاعتكاف ينقطع المعتكف عن الدنيا وهمومها، وينشغل بشكل كامل بالذكر والمناجاة والتضرع والاستغفار.

عن أمير المؤمنين(ع): «يلزم المعتكف المسجد، ويلزم ذكر الله والتلاوة والصلاة ولا يتحدث بأحاديث الدنيا، ولا ينشد الشعر ولا يبيع ولا يشتري، ولا يتكلم برفث ولا يماري أحدًا، وما (ومهما) كفّ عن الكلام فهو خير

---

(٢٣) **كنز العمّال**، مصدر سابق، الجزء ٨، الصفحة ٥٢٣.

(٢٤) ابن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق وتعليق سعيد محمّد اللحّام (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠)، الجزء ١، الصفحة ٥٥١.



له»[٢٥].

وعن الإمام الباقر(ع): «إنّ المعتكف لا يبيع ولا يشتري، ولا يجادل، ولا يماري، ولا يتحوّل من مجلس اعتكافه»[٢٦].

ج. الكفّ عن المعاصي

عن رسول الله (ص): «المعتكف يعكف الذنوب، ويجري له من الأجر، كأجر عامل الحسنات كلّها»[٢٧]. وإذا كانت الروايات تنهى عن البيع والشراء في فترة الاعتكاف، فإنّ المعتكف لا بدّ له - بالأولويّة - أن لا يرتكب المعاصي. وإذا كانت هذه المباحات تعكّر عليه أجواء الاعتكاف وصفوه، فإنّ الذنوب تلغي مكاسب الاعتكاف تمامًا.

د. الإقبال على الذكر والدعاء والتلاوة

عن أمير المؤمنين (ع): «يلزم المعتكف المسجد ويلزم ذكر الله والتلاوة والصلاة»[٢٨].

وهذا هو روح الاعتكاف وجوهره، وهو التفرّغ للعبادة والدعاء، والتضرّع والصلوات والنوافل، وكلّ هذه الأمور قضايا أساسيّة في بناء شخصيّة الإنسان وتعميق علاقته بالله وإرفاده اليقين. إذ إنّ اليقين والإخلاص اللذين يمثّلان أعلى درجات الإسلام لا يحصلان من خلال الكتب فقط، وإنّما بمجاهدة النفس وترويضها والمواظبة على العبادة.

يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٢٩]. وهذه العبادات تفتح منافذ قلب الإنسان على الله.

ومن شقاء الإنسان أن يعمّر عمرًا طويلًا ثمّ لا يجد لذّة العبادة، والأنس بالله والشوق إلى الله وحبّ الله تعالى. وقد ورد في حياة علمائنا أحاديث

---

(٢٥) الميرزا النوري، **مستدرك الوسائل** (لبنان- بيروت: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) الجزء ٧، الصفحة ٥٦٥.

(٢٦) السيّد البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة** (قم: مهر، ١٤٠٩هـ)، الجزء ٩، الصفحة ٥٢٠.

(٢٧) **كنز العمّال**، مصدر سابق، الجزء ٨، الصفحة ٥٣٢.

(٢٨) القاضي النعمان المغربي، **دعائم الإسلام** (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، الجزء ١، الصفحة ٢٨٨.

(٢٩) سورة **الحجر**، الآية ٩٩.

كثيرة عن اهتمامهم الكبير بالتهجّد والمناجاة في ظلمات الليل.

يقول أبو ليلى الجعفري - صهر الشيخ المفيد - عن الشيخ المفيد: ما كان ينام الليل إلّا هجعة، ثمّ يقوم ويصلّي أو يطالع أو يدرس أو يقرأ **القرآن**.

وكان الشيخ الأنصاري يواظب يوميًّا على إحدى وخمسين ركعة بالإضافة إلى الأدعية والتعقيبات وقراءة جزء من **القرآن** وصلاة الليل وصلاة جعفر الطيّار وزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء، وكان وقته يتّسع لكلّ ذلك. وكذلك الأمر إذا بارك الله تعالى في عمر عبده.

وقد ذهب الفيلسوف الإسلاميّ صدر الدين الشيرزاي ستّ مرّات راجلًا ماشيًا إلى الحجّ وفي المرّة السابعة توفّي بالبصرة غريبًا لا يعرفه أحد ممّن كان معه. وكان الحاجّ المولى هادي السبزواري يواظب على إحياء الثلث الأخير من الليل. ومن العلماء مَن أدرك ليلة القدر بالإحياء قطعًا لأنّه أحيى الليالي سنة كاملة.

وهذا الجانب العباديّ مهمّ في شخصيّة الإنسان، ولا سيّما في فترة الشباب، ومن لا يتذوّق في هذه الفترة لذّة الدعاء والمناجاة والصلاة لا يجد بعد ذلك هذه اللذة في حياته.

ومن هنا، ورد في بعض النصوص أنّ الشاب إذا قرأ **القرآن** خالط لحمه ودمه. فعن الإمام الصادق(ع): «من قرأ القرآن، وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه، ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة»[٣٠].

ومن الأعمال الواردة في أيّام الاعتكاف صلاة ركعتين ليلة ١٣ من رجب بسورة **ياسين والملك** في كلّ ركعة بعد الفاتحة وصلاة ٤ ركعات بسورة **ياسين والملك** في كلّ ركعة بعد الفاتحة في ليلة ١٤، وصلاة ستّ ركعات في ليلة ١٥ بنفس الترتيب في كلّ ركعة. ومنها عمل أم داوود في يوم ١٥

---

(٣٠) الكليني، **الكافي**، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٣، ١٣٦٧هـ. ش)، الجزء ٢، الصفحة ٦٠٤.



رجب وهو من أجلّ الأعمال وأفضلها في الأيّام البيض من شهر رجب. ذكره المحدّث القمّي في **مفاتيح الجنان** في أعمال شهر رجب.

هـ. التأمّلات الذاتيّة

من مراقبات الاعتكاف كذلك التأمل الذاتيّ. ومعناه إجمالاً أن يتأمّل الإنسان في نفسه وما وهبه الله تعالى من المواهب التي خصّ الله تعالى بها الإنسان، ولا بدّ أن يُفرّغ الإنسان من وقته يوميًا دقائق لذلك.

يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣١].

لقد وعدنا الله تعالى – ووعده الحقّ والصدق – أن يرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا. ورؤية آيات الله تعالى في الآفاق وفي أنفسنا هي سبيل الإنسان ليعلم أنّ الله تعالى حقّ لا يشوبه باطل.

فللإنسان إذن سبيلان إلى معرفة الله هما من أعظم السبل: آيات الله في الآفاق من المجرّات والسحب الكونيّة الهائلة إلى الذرّة المتناهية في الصغر من الفضاء والأجرام الفضائيّة التي لا حدّ لعظمتها – والعظمة لله – إلى الذرّة الصغيرة بمكوّناتها ومداراتها غير المتناهية في الصغر. وآيات الله في أنفسنا، آيات عظيمة كثيرة تستحقّ الكثير من التأمّل.

والذي يرزقه الله تعالى هذه الرؤية الذاتيّة، يجد من داخل نفسه طريقًا واضحًا إلى الله لا يشوبه فيه التباس أو ريب. إنّ الله وهب الإنسان في نفسه من المواهب ما تضيق به الكتب والمكتبات. وكلّ واحدة من هذه المواهب سبيل إلى الله. فمن الحقّ أنّ يتأمّل الإنسان في إرادته: ما هذه الموهبة التي خصّه الله تعالى به دون الجمادات والنباتات؟ إنّ فعله يخضع لإرادته، فهو يأكل ويشرب ويتحرّك ويقف ويتكلّم ويسكت بالإرادة، فما هي هذه الإرادة التي تجعله سيّد جوارحه وأفعاله وحاكمًا عليها.

ويتأمّل الإنسان أيضًا في فهمه وعقله، فيقف مندهشًا أمام هذه الموهبة

---

(٣١) سورة **فصّلت**، الآية ٥٣.

التي تمكّنه من فهم الأشياء وتفسيرها والانتقال به من المعلومات إلى المجهولات في تسلسل منطقيّ منظّم. كذلك في (الأنا)، فمَن هو (الأنا)، وما هو؟ أهو جسمه وخلايا جسمه؟ فإنّها تتجدّد وتتبدّل حتّى لا يبقى من خلايا جسمه قبل سنين شيء، والأنا باقٍ لم يتغيّر، وتعهّدات الأنا وذمّته باقية؟ فماذا يكون الأنا الذي هو محور الذمّة والمسؤوليّة والتعهّد؟

ويتأمّل الإنسان في حبّه وبغضه، وفي حزنه وسروره، وفي سخطه ورضاه، وفي اطمئنانه وارتباكه، وفي يقينه وشكّه وريبه، وفي اطمئنانه وحيرته، وفي انبساط نفسه وانقباضها، وفي شجاعته وجبنه، وفي أنسه وألفته بأهله وأصدقائه واستيحاشه عمّن لا يعرفهم، وفي ذكائه وبلادته، وفي ضحكه وبكائه، وفي رحمته وقساوته، وفي بخله وجوده، وفي خوفه وأمنه، وفي سروره وكآبته، وفي قبوله ورفضه، وفي ضميره، ووجدانه، وفطرته، وتخيّله، وذاكرته، وخجله وحيائه وما لا أعلم وما لا أطيق إحصاءه من الأوصاف والمواهب التي جعلها الله تعالى في نفس الإنسان وأضدادها.

فإذا ما تأمّل في نفسه وقف على عالم واسعٍ وبحرٍ عميق، بعيد الغور، شاسع الأطراف يستغرقه تفكيرًا وتأمّلًا وتدبّرًا وعجبًا، ثمّ لا يكاد يخرج منه ثمّ لماذا خلقه الله تعالى وأودع في نفسه هذه الكنوز من المواهب وخصّه بها، وماذا يريد منه، وما هي الغاية من خلقه، وما هو سبيل عروجه وفلاحه، وسبيل سقوطه وخيبته، وكيف يتأنّى له السعي إلى تحقيق هذه الغاية الصعبة، وما هي الوسائل التي تمكّنه من ذلك إلى مسلسل طويل من الأسئلة تستغرقه وتستغرق تأمّلاته ويفتح الله تعالى فيها له أبوابًا من البصيرة والفقه والوعي.

كما ويوصي علماء السير والسلوك طلّاب المعرفة بأن يخصّصوا وقتًا خاصًّا بصورة منتظمة ومنهجيّة يوميًّا للدخول في أعماق أنفسهم، ليتعلّموا التركيز والتأمّل في نفوسهم، ثمّ يتوسّعوا بمرور الزمن في هذا الاستغراق الذاتيّ في التأمّل والتفكير في الذات إلى أن يتمكّنوا من التركيز في هذه



الرؤية الذاتيّة والاستغراق فيها. وسوف يجدون في أنفسهم طريقًا واضحًا، رحبًا، قريبًا إلى الله تعالى كانوا غافلين عنها تمامًا؛ وهو معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

ولمّا كانت مشاغل الحياة ومشاكلها لدى أكثر الناس لا تسمح لهم بفرصة للدخول في أعماق الذات والتأمّل والاستغراق فيها، فإنّ فرصة الاعتكاف تمنح الإنسان هذا التوفيق الذي يحتاجه الإنسان في طريقه إلى الله تعالى.

وعليه، نوصي المعتكفين أن يخصّصوا يوميًّا بعض وقتهم لعدّة مرّات في كلّ يوم للاستغراق في أنفسهم والتركيز فيه. وعندما تتكرّر عليهم هذه المحاولات أيّام الاعتكاف يسهل عليهم بعد أيّام الاعتكاف ممارسة حالة التأمّل الذاتيّ بمشقة أقلّ حتّى يسهّل الله تعالى لهم ذلك، ويعينهم عليه.

٧. كلمة العلّامة المجلسي في مراقبات الاعتكاف

يقول العلّامة المجلسي في مراقبات الاعتكاف:

واعلم أنّ كمال الاعتكاف هو إيقاف العقول والقلوب والجوارح على مجرّد العمل الصالح، وحبسها على باب الله جلّ جلاله، ومقدّس إرادته، وتقييدها بقيود مراقباته، وصيانتها عمّا يصون الصائم كمال صومه عنه، ويزيد على احتياط الصائم في صومه زيادة هو المعنى المراد من الاعتكاف والالتزام بإقباله على الله، وترك الإعراض عنه، فمتى أطلق المعتكف خاطرًا لغير الله، أو استعمل جارحة في غير الطاعة لربّه، فإنّه يكون قد أفسد من حقيقة كمال الاعتكاف، بقدر ما غفل أو هوّن به من كمال الأوصاف[٣٢].

٨. أحكام الاعتكاف

من شروط الاعتكاف:

أ- النيّة، فهو عبادة كسائر العبادات، تتقوّم بنيّة التقرّب إلى الله.

---

(٣٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٩٥، الصفحة ١٥٠.

ب- والصوم، فلا يصحّ من غير الصوم. ولو كان المكلّف ممّن لا يصحّ منه الصوم لسفر أو غيره لا يصحّ منه الاعتكاف، إلّا أن يكون ذلك بنذر في السفر.

ج- العدد فلا يصحّ الاعتكاف بأقلّ من ثلاثة أيّام ويصحّ الأزيد.

د- أن يكون الاعتكاف في أحد المساجد الأربعة (المسجد الحرام، ومسجد رسول الله (ص)، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة). ويصحّ رجاءً في أيّ مسجد جامع. ونقصد بالمسجد الجامع المسجد الذي لا يخصّ محلّة أو حيًّا من أحياء المدينة، وإنّما يؤمّه أهل المنطقة كلّهم، سواءً كان ذلك في مراكز المحافظات أو في الأقضية أو في النواحي أو القرى الواسعة، ويصحّ في مساجد الأحياء إذا كان يقصده المصلّون من سائر الأحياء.

هـ- الاستمرار في البقاء في المسجد الذي بدأ فيه الاعتكاف، إلّا أن يكون خروجه من المسجد لحاجة لا بدّ له منها كالحاجات الطبيعيّة للإنسان أو الاضطرار. ويستثنى من ذلك قضاء حوائج المؤمنين.

عن ميمون بن مهران قال: «كنت جالسًا عند الحسن بن علي (في اعتكاف) فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله (ص) إنّ فلانًا له عليّ مال، ويريد أن يحبسني، فقال: والله ما عندي مال فأقضي عنك. قال: فكلمه، قال: فلبس(ع) نعله، فقلت له: يا ابن رسول الله أنسيت اعتكافك؟ فقال: لم أنسَ، ولكني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله (ص) أنّه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عزّ وجلّ تسعة آلاف سنة صائمًا نهاره قائمًا ليله»[٣٣].

وعن الإمام زين العابدين(ع): «والله قضاء حاجته (يعني الأخ المؤمن) أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام»[٣٤].

---

(٣٣) **وسائل الشيعة**، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحة ٤٠٩.

(٣٤) **وسائل الشيعة**، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحة ٣٨٢.



ملاحظة: الاعتكاف بنفسه عبادة مندوبة، إلّا أن يجب على الإنسان بنذر أو شبهة. نعم، إذا اعتكف ليومين يتعيّن عليه الاعتكاف لليوم الثالث إلّا إذا اشترط حال النيّة أن يكون له الرجوع عن الاعتكاف لعارض، كما لو اشترط حال النيّة ان يكون له الرجوع عن الاعتكاف إذا رجع مسافر له من السفر.

٩. الاعتكاف في الأيّام البيض من شهر رجب

الليالي البيض من الأشهر القمريّة هي ليلة الـ ١٣ و١٤ و١٥ من كلّ شهر قمريّ وتسمّى بالليالي البيض لأنّها ليالي مقمرة بيضاء. والأيّام البيض هو يوم ١٣ و١٤ و١٥ من كلّ شهر قمريّ، تبعًا لليالي البيض.

ولهذه الليالي والأيّام من الأشهر الفضيلة الثلاثة وهي رجب وشعبان ورمضان فضيلة وقيمة متميّزة. وقد دأب المؤمنون على اعتكاف هذه الأيّام الثلاثة من شهر رجب لفضيلتها المتميّزة.

صلاة الليالي البيض من الأشهر الثلاثة

ولهذه الليالي الثلاثة (١٣ و١٤ و١٥) من الأشهر الثلاثة (رجب وشعبان ورمضان) صلاة معروفة ورد في فضلها عن الإمام الصادق (ع): أنّه من صلّاها في الشهور الفضيلة الثلاثة المتقدّمة حاز فضل هذه الشهور الثلاثة كلّها، وغفر الله له كلّ ذنب، عدا الشرك، أعاذنا الله منه.

وصفة هذه الصلاة هي: أن يصلي في ليلة ١٣ من هذه الأشهر الثلاثة ركعتين (مثل صلاة الصبح) يقرأ في كلّ ركعة بعد سورة **الفاتحة** بالتسلسل سورة **يس** وتبارك (الملك) و**التوحيد**، ثمّ يركع ويسجد كالمعتاد، ويسلّم بعد الانتهاء من الركعة الثانية.

ويصلّي ضعفها في ليلة ١٤ (أربع ركعات بسلامين) يقرأ في كلّ ركعة بعد سورة **الفاتحة يس وتبارك** (الملك) و**التوحيد**، ويسلّم بعد كلّ ركعتين، فيكون المجموع أربع ركعات بسلامين. أي ضعف الليلة السابقة.

وفي ليلة ١٥، يأتي بستّ ركعات بثلاث سلامات (ركعتين وركعتين وركعتين) بالشرح المتقدّم في كلّ ركعة.

وعلى الشباب من الجنسين أن يحرصوا على هذه الصلاة في الأشهر الثلاثة الفضيلة، قبل أن يفقدوا القدرة على الوقفات الطويلة في قيام هذه الصلاة. ويبدأوا بها في الليالي البيض من شهر رجب ضمن اعتكافهم ثمّ يؤدّوها في الليالي البيض من شهر شعبان وشهر رمضان.

عمل أم داوود

وهو من الأعمال العظيمة الواردة في يوم النصف من شهر رجب. وقد وجدنا لهذا العمل الجليل بركات عظيمة معنويّة ومادّيّة. ولهذا العمل نور وشفافيّة في قلوب المؤمنين.

وسبب تسمية هذا العمل بهذا الاسم أنّ امرأة صالحة من شيعة أمير المؤمنين (ع) تُكنّى بأمّ داوود سجن المنصور العبّاسيّ ولدها، فعادت الإمام الصادق (ع) في علّة له، فسألها عن ابنها داوود فشكت حاله إليه (ع) فعلّمها هذا العمل الشريف فعملت به في يوم ١٥ رجب ففرّج الله تعالى عن ابنها، فعرف العمل بها رحمها الله.

وإليك قصّتها كما يرويه العلّامة المجلسي رحمه الله في كتاب **بحار الأنوار**:

(لما سجن المنصور العبّاسي) عبد الله بن الحسن وجماعة من آل أبي طالب، وقتل ولديه محمّدًا وإبراهيم، أخذ داود [داوود] بن الحسن بن الحسن، وهو ابن داية أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (ع)، لأنّ أمّ داود [داوود] أرضعت الصادق (ع) منها بلبن ولدها داود [داوود]، وحمله (جلاوزة المنصور) مكبّلًا بالحديد، قالت أم داود [داوود]: فغاب عنّي حينًا بالعراق، ولم أسمع له خبرًا، ولم أزل أدعو وأتضرّع إلى الله جلّ اسمه وأسأل إخواني من أهل الديانة والجدّ والاجتهاد أن يدعوا الله تعالى، وأنا في ذلك كلّه لا أرى في دعائي الإجابة. فدخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمّد صلوات عليهما يومًا أعوده في علّة وجدها فسألته عن

حاله ودعوت له، فقال لي: يا أم داود [داوود]، وما فعل داود [داوود]؟ وكنت قد أرضعته بلبنه فقلت: يا سيّدي وأين داود [داوود]؟ وقد فارقني منذ مدّة طويلة، وهو محبوس بالعراق، فقال: وأين أنت عن دعاء الاستفتاح، وهو الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء، ويلقى صاحبه الإجابة من ساعته، وليس لصاحبه عند الله تعالى جزاء إلّا الجنّة؟ فقلت له: كيف ذلك يا ابن الصادقين؟ فقال لي: يا أم داود [داوود]، قد دنا الشهر الحرام العظيم شهر رجب، وهو شهر مسموع فيه الدعاء، شهر الله الأصم. صومي الثلاثة الأيّام البيض، وهو يوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، فاغتسلي في يوم الخامس عشر وقت الزوال إلى آخر الرواية[٣٥].

ولأنّ من شروط هذا العمل صيام يوم ١٣ و١٤ و١٥ من شهر رجب، فإنّ بإمكان المعتكفين أداء هذا العمل يوم النصف من شهر رجب، وهو آخر أيّام الاعتكاف، فيكون مسك الختام لأعمال الاعتكاف.

وقد ورد هذا العمل كما ذكرنا لدفع ظلم الظلمة عن المؤمنين، وخلاص المؤمنين من الظلم والاضطهاد.

وصفة هذا العمل كما ورد في **مصباح المتهجّد** للشيخ الطوسي رحمه الله هي:

إنّ من أراد ذلك فليصم اليوم (الثالث عشر) و(الرابع عشر) و(الخامس عشر) من شهر رجب، فإذا زالت الشمس (يعني حلّ وقت صلاة الظهر) (من اليوم الخامس عشر) صلّى الظهر والعصر بأحسن الركوع والسجود. وليكن في موضع خالٍ لا يشغله شاغل، ولا يكلّمه إنسان، فإذا فرغ من الصلاة استقبل القبلة وقرأ (**الحمد**) (١٠٠ مرّة) و(سورة **الإخلاص**) (١٠٠ مرّة) و(آية الكرسي) (١٠ مرّات) ثمّ يقرأ بعد ذلك سورة **الأنعام** و(بني اسرائيل: يعني **الإسراء**) و(**الكهف**) و(**لقمان**) و(**يس**) و(**الصافات**) و(**حم السجدة**) و(**حم عسق**) و(**حم الدخان**) و(**الفتح**) و(**الواقعة**) و(**الملك**) و(**ن والقلم**) و(**إذا السماء انشقّت**) وما بعدها

(٣٥) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٤٧، الصفحة ٣٠٧.



إلى آخر القرآن.

فإذا فرغ من ذلك قرأ وهو مستقبل القبلة الدعاء المعروف في عمل أمّ داود [داوود]، كما في **مفاتيح الجنان** في أعمال شهر رجب، وسائر الكتب المعتبرة في الدعاء، ثمّ دعا بما شاء مترسّلًا في الدعاء وليكثر الدعاء والتضرّع بين يدي الله، فإنّه من مواضع الإجابة إن شاء الله. والدعاء مذكور في **مفاتيح الجنان** وسائر كتب الدعاء.